



# الفصل التاسع أخطاء في الإعجاز العلمي

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ      أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فُصِّلَتْ: ٥٣).



# أخطاء في الإعجاز العلمي

إن الذين يتكلمون أو يكتبون في الإعجاز العلمي لهم جهود مشكورة، وهم يشترطون شروطاً صحيحة في ذاتها، إلا أن بعضهم يقع منهم الإخلال بشيء من تلك الشروط من حيث يدري أو لا يدري.

فبعضهم لا يقتصر على ما يتعلق بالأمور المشاهدة (عالم الشهادة) وإنما يتعداه إلى الكلام في الأمور الغيبية (عالم الغيب). وهذا لا شك أنه خَوْضٌ فيما لا يُحسنه الإنسان مهما أوتي من العلم. وبعضهم يخوض في مثل هذه الأمور ضارباً بكلام السلف وبتفسيرهم عرض الحائط، بل قد يضرب بعقائد المسلمين منذ أكثر من ألف سنة عرض الحائط.

أحدهم خاض في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فاطر: ١). فزعم أن هذا في عالم الميكروبات، وهذا لا شك أنه مخالفة صريحة للقرآن، وجهل بالعقيدة، وجُرأة على القول على الله بغير علم.

وأحدهم فسر قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمِ ذَٰلِكَ أَلَسْتُمْ بِذُكَّانٍ ١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: ٩ - ١٢) فقال:

«والاستواء الإلهي رمز للسيطرة الكلية، والقصد بإرادة الخلق والتكوين، والتسوية للكون بأرضه وسماؤه ...»، ويقول في موطن بعد هذا: «والدحو لغة: هو المد

والبسط والإلقاء، وهو كناية عن الثورات البركانية العنيفة التي أخرج بها ربنا ﷺ من جوف الأرض كلاً من غلافها الغازي والمائي والصخري».

وقائل هذا الكلام من فضلاء من تكلم في الإعجاز العلمي، وهو قد ذكر شروطاً؛ منها:

١ - أن الظاهر مُقَدَّم على التأويل، فمن أين ظهر له مفهوم الاستواء، ومفهوم الدحو الذي هو تأويل مجازي وليس حقيقة؟

٢ - أنه اشترط حسن فهم النص من القرآن الكريم وفق دلالات ألفاظ اللغة العربية، فأين وجد في اللغة أن الدحو بمعنى الإلقاء.

٣ - أنه اشترط البُعد عن القضايا الغيبية، وهل ما يتحدث فيه من القضايا المشاهدة أم من القضايا الغيبية؟ فمن أين له أن الدحو هو الثورات البركانية العنيفة التي خرجت من جوف الأرض؟! أليس هذا مخالفاً لما يشترطه؟

وبعض من يكتبون في الإعجاز العلمي يتعسفون في الاستدلال وتطويع النصوص لتوافق العلوم الحديثة، فيدخلون هذا المجال باعتقاد مُسبق، ثم يحاولون الاستدلال له. يدخلون إلى القرآن والسنة بمقررات سابقة تجعلهم يلوون عنق النص إلى هذه المقررات من حيث لا يشعرون. ثم تتغير النظرية فيتغير التفسير، فيكون قد ركب تفسير الآية على نظرية معينة، والنظرية قد يُكتشف خطأها، فماذا نفعل وقد فرسنا القرآن على هذا؟! فلا بد أن يقال ما يوافق كلام السلف، لا ما يخالف كلام السلف.

وهذا يعني ضرورة العناية بضبط مسيرة هذه البحوث، وتنقيتها من التكلف، أو محاولة ليّ أعناق الآيات والأحاديث من أجل موافقتها للحقيقة العلمية، وذلك لأن القرآن أعز وأكرم عندنا من ذلك؛ لأنه كلام الله الخالق ﷻ، وعلم الخالق بخلقه هو الحق المطلق الكامل الشامل المحيط بكل علم آخر، وهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ويجب أن لا يغيب عن النظر ونحن ندرس ما في القرآن الكريم والسنة النبوية من تلك الإشارات الكونية أو الغيبية، أن القرآن الكريم لم ينزل ليكون كتاب علوم

كونية أو دلالة على حوادث غيبية، بل هو كما أخبر ﷺ كتاب هداية وبيان وإيضاح ورشاد، فلا يضير القرآن الكريم أن لا يوجد فيه شيء من تلك المسائل، إذا فنحن لسنا بحاجة إلى أن نتكلف أمرًا لم يدل عليه القرآن الكريم بشكل جلي.

إن من المهلكات التي لن تفيد الإسلام بل تضره أشد الضرر الجري وراء العواطف في سبيل الحصول على إعجاز علمي جديد، فكم من مُعادٍ لقضية الإعجاز العلمي سوف يتهم العاملين في هذا المجال بالغش والتدليس بالرغم من وجود أبحاث صحيحة، وفيها ما يغني عن الجري وراء الخرافات.

## نماذج من الأخطاء في الإعجاز العلمي

\* من الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير الرتق والفتق من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَنَقَّهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

فقد ذهب بعض المعاصرين المعتنين بالإعجاز العلمي إلى تفسير هذه الآية بما يسمى بنظرية "الانفجار الكوني العظيم" وهي نظرية من بين عدة نظريات في نشأة هذا الكون، ومع كونها نظرية لم تثبت صحتها إلى اليوم، فإنه حاول التقريب بين الآية وتلك النظرية، مع أن كلمة الفتق من الناحية اللغوية لا تعني أبدًا الانفجار ولم تستخدم كلمة الفتق في القرآن أو السنة بهذا المعنى، ثم أن كلمة الانفجار تؤدي إلى الفصل الكامل بين أجزاء الشيء الواحد مع الهدم والعشوائية في البناء.

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: ١١). حيث فسر أحد الباحثين الدخان الوارد في الآية بآثار الدخان الأول الذي نتج عن عملية الانفجار العظيم للكون من على بعد عشرة مليارات من السنين الضوئية، وهي حالة دخانية معتمدة سادت الكون قبل خلق الأرض والسموات.

وقال إن التقنيات المتطورة من مثل الصواريخ العابرة لمسافات كبيرة في السماء والأقمار الصناعية التي تطلقها تلك الصواريخ والأجهزة القياسية والتسجيلية الدقيقة، التي تحملها قد ساعدت على الوصول إلى تصوير الدخان الكوني الأول الذي نتج عن عملية الانفجار العظيم، والتي وُجدت بقايا أثرية له على أطراف الجزء المدرك من الكون، وعلى أبعاد تصل إلى عشرة مليارات من السنين الضوئية لتثبت دقة التعبير القرآني بلفظة دخان، التي وصف بها حالة الكون قبل خلق السموات والأرض.

وقال إنه بعد الانفجار العظيم تحول الكون إلى غلالة من الدخان الذي خلقت منه الأرض والسموات.

**تعقيب:** مرة أخرى نظرية "الانفجار الكوني العظيم" هذه مجرد نظرية من بين عدّة نظريات في نشأة هذا الكون، ولم تثبت صحتها إلى اليوم، فكيف نفسرها الآية.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في الادعاء بأن القرآن الكريم قد تحدث عن الثقوب السوداء في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُنُسِ ۝١٥﴾ (الأنعام: ١٥-١٦).** حيث ذهب أحد المعتنقين بالإعجاز العلمي في تفسير هاتين الآيتين إلى مذهب جديد لم يسبق إليه، وهذا المذهب الذي ذهب إليه إنما كان بسبب ما ظهر عنده من العلم الجديد في دراسة النجوم. فجعل الخُنوس بمعنى الاختفاء الكامل. وليس من شك أن أصل الخُنوس الاختفاء، لكن زيادة قيد (الكامل) لا دليل عليه من نقل ولا عقل ولا لغة، وإنما هو بسبب هيمنة تلك القضية الفلكية على ذهنه أثناء تفسيره لهذه الآية.

وجعل الكُنوس من مادة كَنَسَ يَكْنِسُ، ومنها المِكنَسَةُ، ولم يجعله من كناس الطَّيِّبِ (أي: بيته) كما ذهب إليه بعض مفسري السلف وغيرهم. والمعنى الذي ذهب إليه في معنى الكُنوس حادثٌ، وإنما قاده إليه تلك القضية الفلكية التي لا يتناسب معها جعلُ الكُنوس من الكِناس، وإنما يناسبها جعله من الكُنُسِ.

وهذا الاختيار لهذين المعنيين ما كان ليكون لو لم يكن له معرفة بما يُسمى بالثقوب السوداء التي هي حالة من حالات النجوم ذكرها الفلكيون المعاصرون. فلو لم يعرف هذا ما كان ليظراً عليه هذا المعنى البتة، وهذا يدلُّك على أن هذا هو أسلوب الاعتقاد المُسبق، ثم الاستدلال له.

ففسر (الخُنُس) و(الكُنُس) بمرحلة خطيرة من مراحل حياة النجوم لم تكتشف إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين يسميها علماء الفلك اليوم باسم الثقوب السوداء (Black Holes). فقال إنها خانسة؛ أي: دائمة الاختفاء والاستتار بذاتها، وهي كائنة لصفحة السماء، تبتلع كل ما تمر به من المادة المنتشرة بين النجوم، وكل ما



يدخل في نطاق جاذبيتها من أجرام السماء، وهي جارية في أفلاكها المحددة لها، فهي خُنس جوار كُنس، وقال إن هذا التعبير أبلغ بكثير من تعبير الثقوب السود الذي اشتهر وذاع بين المشتغلين بعلم الفلك.

وقال إن من العجيب أن العلماء الغربيين يسمون هذه الثقوب السود تسمية مجازية عجيبة تنطبق انطباقاً دقيقاً على الوصف القرآني: «الخنس الجوار الكنس» كما فصلناه آنفاً، وذلك حين يسمونها بالمكانس الشافطة العملاقة التي تبتلع (أو تشفط) كل شيء يقترب منها إلى داخلها.

### تعقيب:

أليس في السياق ما يشير إلى النجوم بعمومها؟ فهي التي تتصف بالخنوس؛ أي: التأخر عند ظهورها في أول الليل بسبب اختفائها في ضوء النهار، ثم هي دائمة الجريان في فلكها، ثم هي تكنس في آخر الليل؛ أي: تدخل في كناسها، وهو ضوء النهار المشرق، فهذه النجوم تتناسب مع الآيات الكونية المرئية للناس أجمعين، وهي ما جاء في الآيات بعدها: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۖ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير: ١٧ - ١٨)، بخلاف تلك النجوم الشافطة التي لا يراها إلا أقل الناس، بل أندرهم، والقسم في غالب القرآن يأتي بشيء ظاهر للناس، أو شيء له أثر ظاهر، أو شيء قد علم من طريق السمع؛ كالملائكة.

### تفسير السلف لهاتين الآيتين:

لقد ذهب السلف في تفسير هذه الأوصاف إلى مذهبين:

**الأول:** أنها النجوم والكواكب، ويكون خنوسها بتأخرها عن الظهور أول الليل، وكنوسها بدخولها في ضوء الصباح بعد آخر الليل، وجريانها كائن في كل أحوالها.

**الثاني:** أنها بقر الوحش والظباء، ويكون خنوسها بتأخرها إذا رأت إنسياً، وكنوسها بدخولها في كناسها؛ أي: بيتها، وجريانها في الغيطان والحقول.

ويلاحظ على هذين التفسيرين أنها ذكرا أمراً يعرفه من نزل عليهم الخطاب، ولا يحتاجون فيه إلى أدوات وآلات ليظهر لهم ذلك الأمر الخفي في هذه الأوصاف، وهذا الاختلاف بينهم من قبيل اختلاف التنوع، وجائز أن يراد به هذا أو ذاك، وسبب الاختلاف الاشتراك في الوصف بين النجم والكواكب من جهة، والبقر الوحش والظباء من جهة أخرى. وإن كان التفسير الأول أنسب لمقام ذكر الآيات الكونية بعدها، غير أن الثاني محتمل أيضاً.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ ذُورِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَا كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١).** حيث قال أحد الباحثين إن الوهن هنا لم يُقصد به وهن المادة المكونة لبית العنكبوت (الشبكة العنكبوتية)، ولكنه وهن الصلات الاجتماعية والتفكك الأسري لبית العنكبوت حيث سيطرة الأنثى على الذكر.

وقال إن العلم قد أثبت بالقياس أن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصُّلب بثلاث مرات، وأقوى من خيط الحرير وأكثر مرونة، وهذا الخيط يحمل أوزاناً أكبر منه بعشرات المرات، فيكون نسيج العنكبوت بالنسبة لاحتياجه وافيًا بالغرض وزيادة، وهو بالنسبة إليه قلعة آمنة، وهذا من نتائج تصنيف العلم الحديث للمواد؛ إذ يضع نسيج العنكبوت ضمن مجموعة البوليمرات أو اللدائن الطبيعية، وقد ذكر القرآن بعض المواد مثل المعادن؛ الحديد والذهب والفضة والنحاس، وكذلك الفخاريات؛ كالصخر والجبال والصلصال والطين وغيرها، بالإضافة إلى مجموعة اللدائن، ومن ضمنها خيط العنكبوت وبيوت النحل وغيرها.

وقال إن العلم كشف مؤخراً أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر، وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن، وإذا ما لاحظنا الآية الكريمة: ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾، وتاء التأنيث الساكنة دلالة على الأنثوية؛ أي: هي المسؤولة عن اتخاذ البيت وإدارة شؤونه.

وقال إن الضعف والوهن هنا دلالة اجتماعية وليست مادية، وأن الآية خُتمت بالقول: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: أنهم لا يعلمون هذا، وسيعلمونه مستقبلاً بعد تقدم العلم التطبيقي والتجريبي.

وقال إن هنا سرّاً بيولوجياً كشف عنه العلم، فحقيقة أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن وصفه، بالأمان والسكينة والطمأنينة، فالأنثى تقتل ذكرها بعد التلقيح وتأكله، والأبناء يأكلون بعضهم بعد الخروج من البيض. ولهذا يعمد الذكر إلى الفرار بجلده بعد أن يلقي أنثاه، ولا يحاول أن يضع قدمه في بيتها، وتغزل أنثى العنكبوت بيتها ليكون فخاً وكميناً ومقتلاً لكل حشرة تفكر أن تقترب منه، أو تدخله زائراً كانت أم سائلاً فإنها تقتل وتلتهم، وهذا سر هذه المذبحة، والوهن كلمة عربية تعبر عن غاية الجهد والمشقة والمعاناة، وهذا شأن من يلجأ لغير الله ليتخذ منه معيناً ونصيراً.

#### تعقيب:

أولاً: يلاحظ أن الباحث لم يرجع إلى المفسرين ولا إلى اللغويين لتقرير ما يحتاج إلى تقرير، ولمعرفة مدى قرب تفسيره من تفسير هؤلاء السالفين، فهل يا ترى نحن في غنى عن تفسيرهم وفهمهم للقرآن؟!

ثانياً: يلاحظ انطلاق الباحث من العلم التطبيقي أو التجريبي إلى القرآن، فهو يريد التوفيق بين ما جاء في العلم التجريبي مع ما جاء في القرآن، وهذا ظاهر جداً في مقالته هذه، وهو لم يذكر غير رأيه المبني على العلم التجريبي المعاصر.

ثالثاً: نفّي علم السابقين بكون أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت غير سديد، فإن عدم علمنا برأيهم لا يعني العدم، فلو ورد منهم إثبات خلاف ذلك أو نفيه لصح ما ذكره الباحث هنا.

وليُعلم أن الذين نزل عليهم الخطاب عربٌ يفهمون تعبيراته وخطاباته، فإن كان التعبير ببناء التأنيث دلالة على الأنثوية - كما قال الباحث - فذلك مما يدركه العربي بلا ريب، فهذا لسانه، وهو أدري به، وسيفهم أن المتخذ للبيت هو الأنثى؛ لأن الله

نسب إليها الاتخاذ، وكون هذه القضية لم يدركها المعاصرون إلا بالملاحظة والتجربة لا يعني أن السابقين لا يعرفونها.

**رابعاً:** إن هذا التفسير خروج عن المتبادر للذهن، والمعروف من حال بيت العنكبوت، فهو ضعيف لا محالة، وما كشفه العلم الحديث لا يغير من واقع وهن بيت العنكبوت الذي يمكن إزالته بقشة فضلاً عن عود، فأَيُّ وهن بعد هذا؟ وهذا المعنى هو الذي فهمه المفسرون، ولم يعرجوا على هذا المعنى الذي ذكره الباحث.

**خامساً:** إن هذا التفسير الحادث يدل السياق على عدم إرادته، فالآية سقت للدلالة على ضعف الكفار في اتخاذهم أولياء من دون الله، وأنهم كمثل العنكبوت الذي يعتمد على بيته الذي لا يقف أمام قشة ولا هبة ريح، وليس المجال مجال تشبيه بالوهن الاجتماعي الذي ذهب إليه الباحث، فما وجه الربط بينه وبين اتخاذ الأولياء من دون الله، وتخصيص الباحث الوهن بالدلالة الاجتماعية ونفي المادية تحكُّم، وإنما صدر منه لأجل هذه المعلومات الحديثة عن العنكبوت.

**سادساً:** نفى العلم في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعود إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ (العنكبوت: ٤١) فيكون: لو كانوا يعلمون هذا المثل المضروب لهم في أنهم اتخذوا أولياء لا يعتمد عليهم. ويحتمل أن يعود إلى أوهن البيوت، ويكون المعنى: لو كانوا يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت.

وعلى كلا الاحتمالين نفى عنهم العلم، وهذا ظاهر النص، لكن قول الباحث: «وسيعلمونه بعد تقدم العلمي التطبيقي والتجريبي» فما لا يدل عليه نظم الجملة لا من قريب ولا من بعيد أبداً. وإنما قال ما قال بتأثير هذه المعلومات العنكبوتية التي ظهرت في هذا العصر، فهو قد اعتقد بهذه المعلومات، ثم استدل لها.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْطَعْتُمْ أَنْ تَفْذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ (الرحمن: ٣٣) فقالوا إن السلطان هو العلم وبواسطته نفذ الإنس من الأقطار.**

## تعقيب:

أولاً: إن هذه الآية تتحدث عن يوم القيامة، وتبين قدرة الله ﷻ على محاسبة الإنسان والجن ومجازاتهم ولا يستطيع أحد أن ينجو منه إلا بسلطان، أى قدرة عظيمة أو ملك قوى، وليس ذلك لأحد إلا الله ﷻ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٦).

وتأمل سياق الآيات: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ۚ﴾ (٣١) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٢) يَمْعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ۚ﴾ (٣٣) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ (الرحمن: ٣١ - ٣٥).

والمعنى: سنفرغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكما التي عملتموها في الدنيا، أيها الثقلان -الإنس والجن-، فنعاقب أهل المعاصي، ونثيب أهل الطاعة. فبأي نعم ربكما -أيها الثقلان- تكذبان؟ يا معشر الجن والإنس، إن قدرتم على النفاذ من أمر الله وحكمه هارين من أطراف السموات والأرض فافعلوا، ولستم قادرين على ذلك إلا بقوة وحجة، وأمر من الله تعالى، وأننى لكم ذلك، وأنتم لا تملكون لأنفسكم نفعا ولا ضرا؟. فبأي نعم ربكما -أيها الثقلان- تكذبان؟ يُرْسَلُ عليكم هب من نار، ونحاس مذاب يُصَبُّ على رؤوسكم، فلا ينصر بعضكم بعضا يا معشر الجن والإنس. فبأي نعم ربكما -أيها الثقلان- تكذبان؟

ثانياً: هل نفذ الإنس بعلمهم من أقطار السموات؟ أو نفذوا فقط - إلى الآن - من أقطار الأرض وجاذبيتها؟ إن كل ما أمكن الوصول إليه من معلومات عن طريق الآلات الحديثة لا يعدو أن يكون فى سماء الدنيا، فإن الكشف الفلكية والكواكب وأبعادها وسرعة ضوئها ودورانها ما زالت فى إحدى السموات وهى الدنيا، الشمس تبعد عن الأرض ٩٣ مليون ميل، فهل يستطيعون أن ينفذوا من أقطار السماء الدنيا كلها ثم يتطلعون إلى بقية السموات؟

ثالثاً: ماذا يترتب على هذا الكلام من قُبْح؟ يترتب عليه أن الله ﷻ يتحدى الإنس والجن، ثم بعضهم يقبلون التحدي ويخترعون أشياء وينفذون، هل من المعقول أن الله يتحدى الجن والإنس ويقبلون التحدي، ويتغلبون فعلاً، ويصعدون من أقطار السماوات والأرض؟!

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي استدلال أحدهم بقوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن: ٣٣) على كروية الأرض قائلاً إن التعبير بالأقطار يُثبت كروية الأرض وكروية السموات، لأن القطر هو الخط الموصل بين نقطتين على المحيط ماراً بمركز الدائرة، والأقطار لا تكون إلا للدوائر وهذا بالتالي يثبت الكروية.**

#### تعقيب:

إن القطر الذي يتحدث عنه هذا الباحث اصطلاح هندسى لم تعرفه العرب، فهم يعرفون القطر بأنه الجهة والناحية لا الخط المذكور، والنفاد من الأقطار يكون بالخروج من الجهات والمنافذ لا من الخطوط التي يتصورها المهندسون.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي حمل أحدهم صورة وردة على قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن: ٣٧)، فقال:**

«في الواحد والثلاثين من أكتوبر من عام (١٩٩٠) عرضت إحدى أقوى وكالات الفضاء في العالم من خلال مرصد عملاق عبر موقعها المعلوماتي صورة لا يشك الناظر إليها لحظة أنها وردة ذات أوراق حمراء قانية، مُحاطة بِبُورِيقاتٍ خضراء زاهية، وفي الوسط كأس أزرق اللون، أما حقيقة هذه الصورة فهي صورة لانفجار نجم عملاق اسمه عَيْنُ الْقُطِّ، يبعد عنا ثلاثة آلاف سنة ضوئية، وفي هذا الموقع المعلوماتي آلاف الصُورِ الملونة التي رصدتها المراصد العملاقة لِعجائب الفضاء، ولكن ما علاقة هذه الصورة بإعجاز القرآن؟

في القرآن الكريم آية من سورة الرحمن، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن: ٣٧)، لو تتبعنا تفسيرها في معظم كتب التفاسير قبل نشر الصورة لما وجدت فيها ما يشفي غليلك، ذلك لأن في القرآن آيات لما تُفسَّر. وإن انشقاق هذا النجم يُشبه وردة متألقة، بل إن صورة هذا النجم عند انفجاره هو تفسير هذه الآية، بشكل أو بآخر، هذا لون من ألوان الإعجاز.

### تعقيب:

القرآن يُفسَّر بعضه بعضاً، وخير ما فُسِّر به القرآن هو القرآن. وهذه الآية جاءت ضمن سياق آيات تتحدث عن يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (فَيَايَ آءِ رَيْكُمْ تَكْذِبَانِ ٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْطٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ٣٥) فَيَايَ آءِ رَيْكُمْ تَكْذِبَانِ ٣٦) فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ٣٧) فَيَايَ آءِ رَيْكُمْ تَكْذِبَانِ ٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ٣٩) فَيَايَ آءِ رَيْكُمْ تَكْذِبَانِ ٤٠) يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنُّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ٤١) فَيَايَ آءِ رَيْكُمْ تَكْذِبَانِ ٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ٤٤) فَيَايَ آءِ رَيْكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ (الرحمن: ٣٣-٤٥).

وانشقاق السماء إنما يكون يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١٥) وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ١٦) وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ١٧) يَوْمَئِذٍ نُّعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٣-١٨). فدلَّت هذه الآيات على أن انشقاق السماء لا يكون إلا يوم القيامة. ولا يجوز لأحد أن يقول في القرآن بمجرد رأيه.

ثم إنه لا ينبغي أن تُسارع في نشر مثل هذه الأشياء لأنه ربما ثبت عكسها أو ربما كانت من الخدع أو من تركيب الصور.

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بتناقص القمم والهامات العليا للجبال، وهي التي تمثل الأطراف الرأسية لقشرة الأرض، وهذه الأطراف العليا تتناقص في الارتفاع تبعاً لتآكلها ونحتها المستمرين بفعل عوامل التجوية والتعرية، وبتناقص أطراف الكرة الأرضية عند القطبين.

ومعلوم أن تناقص الأطراف العليا في الارتفاع نتيجة التآكل لا يرى ولا يُحسّ به، هذا على تقدير حصوله، فإن هذا يحصل بعد السنين الطويلة بشكل يسير قد لا يُشعر به. فهل يُلَفَّتْ نظر العباد وتفكرهم إلى أشياء دقيقة لا يُحس بها أكثر الخلق وتقوم على الخرص والظن؟ فكلام الله يُصان عن هذا التفسير.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٤١).

قال العلماء في تفسيرها: أَيَشْكُ الْمُشْرِكُونَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، بِصِدْقِكَ فِيمَا أُنْذَرْتَهُمْ بِهِ؟ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّنَا نَفْتَحُ لَكَ الْأَرْضَ بَعْدَ الْأَرْضِ، وَنُظْهِرُ الْإِسْلَامَ عَلَى الشِّرْكِ، فَتَضِيقُ الدُّنْيَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَتَتَحَقَّقُ مَا وَعَدَكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّصْرِ وَالْغَلْبَةِ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ، وَلَا مُعَقَّبَ عَلَى أَحْكَامِهِ، وَلَا مُبَدَّلَ لَهَا، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير وَضَعَ الْمِيزَانَ في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧) بقانون الجذب بين الكواكب واتزانها. فقالوا إن (نيوتن) اكتشف أن للسماء قانوناً محكماً دقيقاً يحكم أجرام السماء هو قانون الجذب وأن محصلة هذا الجذب بين الكواكب هو الاتزان بينها (الميزان).

تعقيب: قال ابن تيمية (في مجموع الفتاوى ١٢ / ٢٤٩): «وجمهور المفسرين على أن المراد بالميزان العدل».

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير لفظ ﴿لُمُوسِعُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧) بأن الله ﷻ لا زال يوسّع



في بناء هذا الكون. وقالوا إنه اكتُشف في هذا العصر أن الكون يتمدد، وأن نجوم السماء لا تزال تُخلق، وأن مدن النجوم يتباعد بعضها عن بعض وبهذا عُرف أن السماء لا تزال تتسع.

### تعقيب:

القول بتمدد الكون قائم على نظرية (الانفجار الكوني العظيم) وهذه مجرد نظرية من بين عدة نظريات في نشأة هذا الكون، ولم تثبت صحتها إلى اليوم، فكيف نفسر بها الآية؟

ولو ثبت يقيناً أن الكون يتمدد، فهل دلالة الآية على تمدد الكون ظنية أو قطعية؟ لا شك أن هذه الدلالة ظنية؛ لأن من يقول بهذا التفسير لا يمكنه أن يجزم في إثبات هذه الدلالة. وإذا كانت الدلالة ظنية، فإن دعوى السبق تبقى ظنية أيضاً.

لقد وُصف ربنا السماء في كتابه، فذكر لمس الجن لها، وذكر البناء والأبواب، وذكر الانشقاق والانفطار، وما في خلق السماء من عجائب الأمور. وذكر نبينا ﷺ انفتاح أبوابها لروح المؤمن وغلقتها عن روح الكافر، وقد صعد إليها ﷺ، وسما فوقها وعلى عليها، واستقبلته ملائكتها.

فالسما والأرض خلقهما الرحمن قبل استوائه على عرشه وكان قبل ذلك عالٍ عليه وعلى مخلوقاته وإنما حصل الاستواء بعد خلق السموات والأرض في ستة أيام.

إن تفسير لفظ «لَمُوسِعُونَ» عند السلف على وجهين:

الأول: بنيانها واسعة الأرجاء، وهذا إخبار عن حال السماء في السعة.

الثاني: بنيانها وإنا لقادرون على بنائها، من الوُسع؛ أي: القدرة.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في الربط بين عملية البناء الضوئي**

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (يس: ٨٠). حيث قال أحد الباحثين: ظاهرة الآية واضحة لكل إنسان وبالذات في عصر نزول القرآن الكريم فإن المصدر الوحيد للوقود في جميع أنحاء العالم كان الشجر

الأخضر ومشتقاته الذي يجف ويتحول إلى خشب، والناس كانوا يستعملون هذا الخشب للتدفئة والطهي.

وفي هذا العصر وما كشفه العلم مما يقوم به الشجر الأخضر - أوكد الأخضر - من وظائف في غاية الدقة والتعقيد وفي منتهى الإبداع والتي لا تستطيع جميع مصانع البشر حتى تقليدها إلى يومنا هذا، يفتح الباب أمام تفسيرات أخرى يدل على إعجاز علمي رائع في الشجر الأخضر.

إن عملية التركيب الضوئي التي تتم في الورقة الخضراء عملية في غاية الأهمية للنبات والإنسان والحيوان، أليس الأوكسجين هو وقود الحياة، وتستعمله البلايين من الكائنات الحية في كل آن ومصيره حتمي إلى النضوب لو لم يعوّض، فمن يعوضه غير الشجر الأخضر، والشجر الأخضر ينقذنا من ثاني أكسيد الكربون ويزودونا بالأوكسجين الذي نوقد به نارنا ونار خلايانا في أجسامنا.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (١٤ - ١٥).** والربط بين الآية وما قيل من أن أحد رواد الفضاء ذكر أنه عندما يخرج من الغلاف الهوائي للأرض ويدخل خارج الغلاف الهوائي أن هناك ظلام دامس وأن الشمس تبدو في تلك المنطقة باهتة جدًا والنجوم ضعيفة جدًا والسواد هو الغالب عليه وأن هذا الرائد يقول أثناء صعوده: الآن يقل الضوء، الآن سُدَّتْ أبصارنا وأغلقت، لا نرى شيئًا، قد أصبحنا عميًا، لأنه ليس هناك من انعكاسات لأشعة تأتي إلينا».

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤ / ٥٢٨): «يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قُوَّةِ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ لِلْحَقِّ: أَنَّهُ لَوْ فَتَحَ هُمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ، فَجَعَلُوا يَصْعَدُونَ فِيهِ، لَمَا صَدَّقُوا بِذَلِكَ، بَلْ قَالُوا: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَابْنُ كَثِيرٍ، وَالضَّحَّاكُ: سُدَّتْ أَبْصَارُنَا. وَقَالَ قَتَادَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَخَذَتْ أَبْصَارُنَا. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: شُبِّهَ

عَلَيْنَا، وَإِنَّمَا سُجِّرْنَا. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: عَمِيَتْ أَبْصَارُنَا. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «سُكِرَتْ أَبْصَارُنَا» السَّكَرَانُ الَّذِي لَا يَعْقِلُ». اهـ.

فالذي يُخبر به رِوَادُ الفضاء أنهم إذا ارتفعوا وجدوا ظلمة وأنهم يقولون: سُدَّتْ أَبْصَارُنَا وأغلقت لا نرى شيئاً، فهم - إن صحت نسبة ذلك الكلام إليهم - يخبرون عن ظلمة يدخلون فيها إذا ارتفعوا في الفضاء.

أما الذي تخبر عنه الآيتان فإنما معناه أن الله ﷻ لو فتح لهم باباً من السماء المبنية ذات الأبواب ثم أقدرهم ﷻ على الصعود حتى وصلوا إلى السماء ودخلوا بابها واستمروا في الصعود لقالوا الذي ذكر الله عنهم.

يعني أنه من شِدَّةِ مكابرتهم وعنادهم ينكرون هذه الحقائق العظيمة لو حصلت لهم كما ذكر ﷻ، فأين هذا من هذا؟ فالرب سبحانه يخبر في الآيتين عن الكفار أنهم لو صعدوا ورأوا بأعينهم صِدْقَ خبر الرسول محمد ﷺ بأن يُفتح لهم باب السماء فيعرجون فيه ويرون آيات السماء «لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ» يقولون ذلك جحوداً ومكابرة وعناداً.

فالقصة كلها ليس فيها ذِكْرُ ظلمات أثناء الصعود بل بالعكس فيها إِبْصَارٌ حقيقي ونظر تام على تقدير حصولها فإنهم رغم ما يبصرونه ويشاهدونه بأعينهم عن قرب من آيات ربهم الذي أرسل إليهم هذا الرسول الكريم ﷺ يلجئون في عتوهم وعنادهم ويقولون ما ذكر الله عنهم.

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي ما زعمه أحدهم في تفسير قوله تعالى: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» (النمل: ٨٨) حيث قال:

«حمل معظم المفسرين دلالة الآية على المستقبل البعيد حين يتم تدمير العالم استعداداً للقيامة والحساب، وقال بعضهم إن قوله تعالى: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» هو خطاب للنبي ﷺ خاصة أطلعه الله فيه على سر من أسرار الكون

ولم يُبَيَّنْ به لعجز الناس عن إداركه في ذلك الزمن، وحقيقته: أن الأرض تدور حول الشمس دورة في كل يوم وليلة، ودورتها هي تسير معها الجبال فيها قطعاً فيرى المرء الجبال يحسبها جامدة وهي تمر مع الأرض مر السحاب والمرور غير السير فالسير يوم الفناء أما المرور يقال: مرّ بفلان يحمله معه ولا يقال سار به. واستدلوا على هذا المعنى بقوله ﷺ بعد ذلك: «صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ».

وقالوا إن الجبال تتحرك تبعاً لحركة كوكب الأرض؛ باعتبار الجبال جزءاً منه، ولا نشعر بحركة الجبال لأننا نتحرك معها، فهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم.

فهذه الجبال التي يراها الرائي فيحسبها جامدة هي في الواقع على غير هذا الظاهر؛ إنها تتحرك في انتظام كما يمر السحاب، حقيقة لا ترى بالعين، والتعبير «صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» فيه دعوة إلى البحث عن هذه الحقيقة؛ حقيقة كامنة تشهد بجلال الله، ولا تنكشف إلا بالعلم والنظر إلى ما خلف صفحة هذا الوجود من نظام، نظراً يملأ القلوب روعةً وخشوعاً ورهبةً، والتعبير «صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» تقرير لتأكيد روعة الصنعة وإحكامها بنظم مقدرة.

فالإنسان كان يحسب ويظن أن الجبال جامدة، فأخبره علام الغيوب أن هذه الجبال التي نحسبها جامدةً تتحرك وتمرّ مرّ السحاب، وجاء تشبيه الجبال بالسحاب لأنّ السحاب إنما يتحرك بحركة الرياح وليس له حركة من تلقاء نفسه، والجبال كذلك ليس لها حركة من تلقاء نفسها، بل تتحرك بحركة الأرض، فأخبر تعالى بهذه الآية الكريمة عن حقيقة حركة الجبال، وعن حقيقة حركة الجبال تبعاً لحركة الأرض.

وقوله تعالى: «تَحْسَبُهَا جَامِدَةً» يشير إلى عدم إحساس البشر بحركة الجبال، لأنّ وضعها ثابت بالنسبة إلى الأرض، وبالنسبة إلى البشر، فيحسبها البشر ثابتة، لكنّ الجبال تتبع الأرض في حركتها ودورانها، فتكون متحركة قياساً إلى شيء آخر يقع خارج الكرة الأرضية.

## تعقيب:

أولاً: إن من الخطأ، بل من تحريف القرآن عن مواضعه، تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨) بأنه دليل على دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس.

إن من فسر الآية بذلك فقد قال على الله ﷻ بلا علم، بل قال ما يخالف قول الله عز وجل؛ لأن الآية نزلت بياناً لأحوال يوم القيامة عند النفخ في الصور، وليس ذلك في عالم الدنيا، بدليل قوله تعالى في الآية التي قبلها: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنْفُوهُ دَخِرِينَ﴾ (النمل: ٨٧)، ثم قال بعدها: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

لقد نسي الباحث أن الحديث عن ظاهرة مرور الجبال يوم القيامة ورد في آيات أخرى من سور القرآن وهي سورة الواقعة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ لَيْسَ لَوْعِنِهَا كَاذِبَةٌ ۖ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۚ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ﴾ (الواقعة: ١ - ٦).

فتفسير آية سورة النمل بدوران الأرض مخالفٌ لسياق الكلام، وخروجٌ بها عن نظائرها من آيات القرآن الواردة في نفس الموضوع، بل مخالفٌ لظاهر الآية نفسها، فإن الدوران لا يقابل الجمود، بل الذي يقابل جمود الجبال وجعلها رواسي للأرض كونها هباءً منبثاً كالعهن المنفوش تطيرها الرياح فتمر مر السحاب بعد أن كانت أحجاراً صلبة متماسكة مستقرة على الأرض أوتاداً لها، فكيف يُجعل الخطأ في بيان المراد من الآية معجزة يثبت بها أن محمداً ﷺ رسول الله، وأن القرآن تنزيل من رب العالمين؟!

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي ما زعمه أحدهم في تفسير قوله تعالى:** ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس: ٥)، وقوله تعالى: ﴿نَبَارَكُ الَّذِي

جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ (الفرقان: ٦١)، فقال إن هذا دليل على أن نور القمر مستفاد من نور الشمس وأن ذلك دليل على إعجاز القرآن.

### تعقيب:

هذا استنباط باطل فإنه ليس في الآيتين دليل على ذلك، ولا فهم العرب منهما هذه النظرية العلمية، وهم أهل العربية، وأعرف باللغة التي بها نزل القرآن، وكون نور القمر مستفاد من نور الشمس لا يتوقف ثبوته على القرآن، بل عُرف من طريق آخر كحادث خسوف القمر المتكرر على مر الزمان، ومعرفة ذلك في متناول البشر؛ لكونه متصلاً بعلم التسيير وهو من علم الفلك، فيعرفه من له دراية بعلم الفلك، فكيف يجعل ذلك دليلاً تثبت به الرسالة وإعجاز القرآن؟!

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي ما زعمه أحدهم من أنه اخترع قطرة عيون من قوله تعالى: ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَيْ يَأْتِ بِصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (يوسف: ٩٣).

### الإعجاز المزعوم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (يوسف: ٨٤). لقد فسر بياض عين يعقوب عليه السلام بالمياه البيضاء أو الكتاركتا. وأوضح أن هناك علاقة بين الحزن والإصابة بالمياه البيضاء حيث إن الحزن يسبب زيادة هرمون "الأدرينالين" وهذا يعتبر مضاداً "للأنسولين" وبالتالي فإن الحزن الشديد أو الفرح الشديد يسبب زيادة مستمرة في هرمون الأدرينالين الذي يسبب بدوره زيادة في سكر الدم وهو أحد أسباب العمامة، هذا بالإضافة إلى تزامن الحزن مع البكاء.

وأوضح أن هناك صعوبات في علاج هذا المرض الذي يتمثل بالدرجة الأولى في الجراحة لأنه لا توجد له أدوية فعالة، ولهذا كان الحل عنده في قميص يوسف عليه السلام (قميص الشفاء)، وبعد التفكير في ماذا يمكن أن يوجد في قميص يوسف عليه السلام، من شفاء! كان الاهتمام إلى العرق وكان البحث في مكونات عرق الإنسان حيث أخذنا

العدسات المستخرجة من العيون بالعمليات الجراحية التقليدية وتم نفعها في العرق فوجدنا أنه تحدث حالة من الشفافية التدريجية لهذه العدسات المعتمدة.

ثم كان السؤال التالي: هل كل مكونات العرق فعالة في هذه الحالة؟ أم إحدى هذه المكونات؟ وبالفعل أمكن التوصل إلى إحدى المكونات الرئيسية وهي مركب من مركبات البولينا (الجواندين) والتي أمكن تحضيرها كيميائياً. وبإجراء التجارب على حيوانات التجارب المستحدث بها عتامة أو بياض لعدسة العين عن طريق الإشعاع أو عن طريق ما يسمى (بالعتامة المتسببة بالجلالكتوز) وُجد أن وضع هذه المركبات المحضرة كيميائياً تسبب بياضاً لعدسة العين، كما أظهرت الفحوص الطبية باستخدام المصباح الشَّقِّي (Slit Lamp) وكذلك التصوير بالموجات فوق الصوتية وانعكاس الضوء الأحمر من عدسة العين.

وقال إن هذه القطرة ليست لها أية آثار جانبية بالمرة على حيوانات التجارب وكذلك بالنسبة للإنسان سجلت النتائج التي أجريت على ٢٥٠ متطوعاً زوال هذا البياض ورجوع الإبصار في أكثر من ٩٠٪. أما الحالات التي لم تستجب فوجد بالفحص الإكلينيكي أن بروتين العدسة حدث له شفافية لكن توجد أسباب أخرى مثل أمراض الشبكية هي التي تسببت في عدم رجوع قوة الإبصار إلى حالتها الطبيعية. كما قال إنه يمكن استخدام هذه القطرة في علاج بياض قرنية العين.

وقد زعم أنه قام بتسجيل براءة هذا الاختراع حيث يقول: «أرسلت صورة البحث إلى براءة الاختراع الأوروبية ثم الأمريكية وتولى الأمر أحد بيوت الخبرة هناك، ثم شكلت لجنة لامتحان الاختراع وقد أجاز من براءة الاختراع الأوروبية عام ١٩٩١ ومن براءة الاختراع الأمريكية عام ١٩٩٣».

### الرد العلمي على هذا الإعجاز المزعوم:

في البداية هناك العديد من التساؤلات وهي:

- هل العرق الذي بقميص يوسف عليه السلام هو الذي شفى والده يعقوب من العمى أو ابضااض العين؟

- وهل أي قميص به عرق كان سيلقى على وجه يعقوب عليه السلام كان سيؤدى إلى شفائه؟
- أم لأن يوسف عليه السلام نبي؟
- أم لأنه الابن المفقود الذي تسبب حزن أبيه على فقده إلى فقدان بصره؟
- قد كان يعقوب عليه السلام نبياً أيضاً فلماذا لم يستخدم قميصه هو؟
- هل أي عرق يوضع في أي عين يؤدى إلى شفائها؟

وحرصاً على اتباع المنهج العلمي السليم عند التدليل على إعجاز الآيات القرآنية، تمت مناقشة هذه الأسئلة وغيرها علي (صفحة الفكر الديني) بجريدة "الأهرام" المصرية من خلال صفوة من أطباء العيون وكبار العلماء في ندوة علمية طبية ناقشت على صفحاتها خلال أسبوعين متتالين هذه القضية.

### الأطباء يرفضون هذه القطرة بحجج قوية!!

بعرض هذا الكلام على الأستاذ الدكتور سيد سيف عميد "المعهد القومي لليزر" ورئيس أقسام الرمد بطب "القصر العيني" قال: «علاج المياه البيضاء ليس له سبيل حتى الآن سوى إجراء الجراحة لإزالة العدسة المعتمدة ويمكن زرع عدسة بدلاً منها أو استبدالها بعدسة لاصقة تبعاً للحالة. أما العلاج الكيميائي عن طريق القطرات فلم يثبت صحته حتى الآن. وقد قامت بعض شركات الأدوية الألمانية والأمريكية واليابانية بعمل قطرات من مركبات معروفة لعلاج هذه الحالة لكنها لا تجدي في العلاج. والحقيقة أنني فوجئت بالكلام المنشور عن طريق قطرة من العرق بل ومستوحاة من القرآن الكريم، فهذا كلام غير علمي بالمرّة وحتى إثارته لا تكون على صفحات الجرائد العادية لكن له المسارات العلمية المعروفة، لأن عيون الناس أمانة ويجب أن لا نخون الأمانة...

والأخطر من ذلك إقحام القرآن على أنه دليل على صدق القرآن وهذا مالا يقبل أبداً. أما عن مسألة العرق وما به من مادة البولينا - والكلام مازال على لسان الأستاذ الدكتور سيد سيف - فكنت قد قرأت للدكتور "يورك إلدر" وهو صاحب



أكبر موسوعة علمية عن الرمد على مستوى العالم عن إمكانية إذابة عدسة العين في البولينا وبدأ التفكير في عمل أبحاث حول تذويب العدسة كيميائياً، وقام بها الدكتور مصطفى نصار وثبت أنها تسبب التهابات شديدة في القرنية والقزحية (ننّ العين) فتوقفنا عن هذه الأبحاث».

وأضاف الأستاذ الدكتور طه الشيوى رئيس قسم الرمد بكلية طب القصر العيني: «من الناحية العلمية هناك ثلاث نقاط:

١- هذه المواد التي يخرجها الجسم أدخلها في صورة عرق أو غيره هي مواد سامة يتخلص منها الجسم ... فكيف أدخلها له مرة أخرى؟

٢- كيف تدخل القطرة العدسة الداخلية للعين وبالتركيز المطلوب؟

٣- حتى إذا فُرض أننا أذبنا الجزء المعتم من العدسة هل الشبكية لن تتأثر؟ وأين ستذهب الأجزاء المذابة؟ كما أن الخلايا المتبقية ستكبر مرة أخرى».

أما الأستاذ الدكتور معتز المرزوقي مستشار الرمد وعضو "المجلس الأعلى للشئون الإسلامية" فيبدأ في تحليل الموضوع من الناحية المنطقية ثم يسترسل إلى الناحية الطبية فيقول: «ليس من المعقول أن يظل عرق يوسف موجوداً بالقميص طوال هذه الرحلة من مصر إلى الشام، وحتى لو فُرض أن القميص مملوء بالعرق فهل دخل العرق كله في عين يعقوب. كما أن أكثر البلاد إصابة بالمياه البيضاء هي البلاد الحارة والمفروض أن العرق في أعينهم طوال النهار، فلماذا لم يشْفهم عرقهم».

ثم قال: «ويكاد يُجمع الأطباء على أن عودة إبصار يعقوب معجزة بكل المقاييس ... وكما نعلم أن المعجزة الإلهية فوق العلوم وفوق كل المقاييس لأنها متعلقة بالله تعالى وبـ"كن فيكون"».

ويقول الأستاذ الدكتور ممتاز حجازي أستاذ طب وجراحة العيون "بالقصر العيني": «القول بأن عرق يوسف عليه السلام الذي كان بقميصه هو الذي شفى عيني أبيه يعقوب عليه السلام عندما ألقاه على وجهه قولٌ فيه سذاجة شديدة ويتعارض مع العقل والمنطق، لأنه ليس بالضرورة في قوله تعالى: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ أن يكون قد أصيب

بالمياه البيضاء فقد يكون تعبيرًا يفيد الكف عن الإبصار، كما أن الكف عن الإبصار قد يحدث نتيجة الحزن أو الصدمات العصبية».

ثم يتساءل الأستاذ الدكتور ممتاز حجازي: «ومن أين جاء الافتراض بأن القميص كان به عرق؟ أو أن العرق ظل طوال هذه الرحلة؟ وكيف لامس القميص العين بدون أن تغلق الجفون ودون أن تصاب العين بقرحة إصابية؟ وأي مدة ظل فيها القميص ملاصقًا للعين حتى يصل إلى العدسة الداخلية للعين وبالتركيز الكافي؟».

ولتوضيح خطأ الآلية التي تعتمد عليها هذه القطرة المخترعة يقول الدكتور مصطفى نصار - مدرس طب وجراحة العيون بجامعة "المنوفية":

«تركيب العدسة الداخلية للعين معجزة؛ لأن الأحماض الأمينية التي يتركب منها بروتين العدسة الداخلية للعين ملفوفة ومغلّفة داخل بعضها لحمايتها. والذي يحدث في حالة عتامة العدسة الداخلية للعين أن هذه اللفة تفرد وبذلك تتعرض للأكسدة بفقدانها للهيدروجين فتتكون رابطة من مواد جديدة ... هذه الرابطة هي التي تسمى بالمياه البيضاء تسبب في عتامة العدسة الداخلية.

ولعلاج هذه الحالة بدون جراحة لابد من اكتشاف مركب يستطيع كسر هذه الرابطة وإعادة تركيبها إلى حالتها الأولى، وهو أمر في غاية الصعوبة، ليس هذا فقط بل لابد من إعادة الخلايا إلى وضعها الأول من الالتفاف بعد أن فتحت ... وهكذا يتضح لنا استحالة علاج المياه البيضاء وكما يدعى البعض بالعرق الذي يحتوي على اليوريا والجلوتين على أساس أنهما قادران على إذابة البروتين ... لأن المطلوب ليس إذابة البروتين وإنما المطلوب هو إعادة ترتيب الخلايا إلى ما كانت عليه وكذلك عودة شكلها الملتف».

يتضح مما سبق افتقار هذا البحث إلى المنهجية العلمية أو حتى المنطقية:

- فلو كان في العرق مادة تزيل "المياه البيضاء" لكانت كل إنسان بعرقه الخاص، ولما ظهر هذا المرض أصلاً لأن عرق الإنسان كثيراً ما يدخل عينيه في يوم شديد الحرارة.

- كيف نصدق أن قميص يوسف ظل مبللا بالعرق (ولم يجف) رغم أن العير سافرت به طويلاً من مصر الى فلسطين في صحراء جافة حارقة!!
- عودة يعقوب عليه السلام بصيراً معجزة ربانية ليس للعرق دخل فيها، وإلا سيخرج علينا بعد فترة من يدعي أن عرق إبراهيم مادة مضادة للحريق جعلت النار حوله تصبح بردا وسلاما!!
- ومن قال أصلاً إن يعقوب كان مصابا ب"المياه البيضاء"؟ في حين أن ابيضاض العين تعبير قديم استعملته العرب للإشارة للعمى!!

إن هذه (القطرة القرآنية) المزعومة مجرد نموذج لادعاءات كثيرة قد تفتتح الباب لأعداء الإسلام لتكذيب القرآن والطعن فيه.

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣) وَلَبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكْوَنُ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ (الزخرف: ٣٣-٣٥).

فقد تعرّض بعض الباحثين لهذه الآيات الكريمة، فمنهم من رأى أن المقصود بالسقف المصنوعة من الفضة في الآية الكريمة هو الخلايا الشمسية الحديثة التي تصنع مكوناتها من الفضة، أما بالنسبة للمعارج والأبواب والسرر المتخذة من الفضة، فهذا أمر ممكن تحقيقه صناعيا لمن آتاهم الله المال وغرثهم الحياة الدنيا وزخرفها.

أما بعض الباحثين الآخرين فقد فسروا عبارة (سقف من فضة) في هذه الآيات الكريمة على أنه المقصود منها هي سفن الفضاء المصنوع غلافها الخارجي من عدة طبقات من معدن الفضة، وأن هذه السفن لها أبواب وأماكن جلوس بداخلها، ورأوا أن وجه الإعجاز العلمي في هذه الآيات الكريمة هو التنبؤ بظهور سفن الفضاء في العصر الحديث.

إن ما يُلفت النظر في تفسير الباحثين السابقين لكلمة (سقف) أنهم تركوا حقيقة اللفظ واستعملوا بدلا منه المجاز، والسَّقْف (بفتح السين وسكون القاف) غطاء المنزل

ونحوه وهو أعلاه المقابل لأرضه، والسقف جمعه سقوف وأسقف، وجاء في بعض المعاجم أيضا أن السقف جمعه سُقْف (بضم السين وضم القاف)، وأنكر بعض اللغويين والمفسرين أن تكون كلمة (سُقْف) جمعا لكلمة (سَقْف) (بفتح السين)، وقالوا إنها جمع الجمع لكلمة (سُقُوف) أو أنها جمع (سقيفة).

ولا يمكن أن يفهم من كلمة (سقف) الواردة في الآية الكريمة أنها هي الخلايا الشمسية التي توضع فوق أسطح المنازل للاستفادة من الطاقة الشمسية، كما أنه لا يمكن أن تكون هي سفن الفضاء التي اخترعها الإنسان في القرن العشرين، بل يجب أن تفهم في سياق معناها الحقيقي الذي كان يعرفه العرب وقت نزول القرآن وهو أيضا ما يتفق مع المعنى اللغوي ومع سياق باقي الألفاظ والمفردات التي وردت في الآية الكريمة وهي: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ﴾ ﴿أَبْوَابًا﴾ ﴿وَسُرُرًا﴾، ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ وهي كلها عناصر معمارية تتصل ببناء البيوت أو المساكن.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات (٢٢٦ / ٧): « قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أَي: لَوْلَا أَن يُعْتَقَدَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْجَهْلَةَ أَنَّ إِعْطَاءَنَا الْمَالَ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّتِنَا لِمَنْ أَعْطَيْنَاهُ، فَيَجْتَمِعُوا عَلَى الْكُفْرِ لِأَجْلِ الْمَالِ - هَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالسُّدِّيِّ، وَغَيْرِهِمْ - ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ أَي: سَلَامٌ وَدَرَجًا مِّنْ فِضَّةٍ - قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ - ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾، أَي: يَصْعَدُونَ. ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ أَي: أَغْلَاقًا عَلَى أَبْوَابِهِمْ ﴿وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ أَي: جَمِيعُ ذَلِكَ يَكُونُ فِضَّةً، ﴿وَزُخْرَفًا﴾، أَي: وَذَهَبًا. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أَي: إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ الرَّائِلَةِ الْحَقِيرَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَي: يُعَجَّلُ لَهُمْ بِحَسَنَاتِهِمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا مَأْكَلٍ وَمَشَارِبٍ، لِيُؤَافُوا الْآخِرَةَ وَلَيْسَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنَةٌ يَّجْزِيهِمْ بِهَا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أَي: هِيَ لَهُمْ خَاصَّةٌ لَا يُشَارِكُهُمْ: فِيهَا أَحَدٌ غَيْرُهُمْ». اه باختصار.

\* ومن الأخطاء الفاحشة في الإعجاز العلمي قول أحدهم إن الإعجاز العلمي يكشف عن انفلونزا الطيور في القرآن الكريم، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَفَكَهَةً مِّمَّا يَخَيْرُوتَ ۖ وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (الواقعة: ٢٠-٢١) قائلاً: «إن الآية تقول إن الناس سيفتقدون لحوم الطيور في زمن من الأزمان لسبب مجهول حتى أنهم سيتشوقون لها جداً، ولعل ذلك السبب مرض ما إذا أَكَلْتُ تؤدي إليه فيُحْظَرُ أَكْلُهَا أو بسبب انقراضها لمرض أو إبادة جماعية لها، وأن الله في الجنة سيجزي المؤمنون لحوم الطيور التي كانوا يشتاقون إليها في الدنيا جزاءً إيمانهم به.

وقد ذكر ذلك الله تعالى لحوم الطير خصوصاً دون لحوم البقر أو الإبل أو الماعز فقال تعالى في سياق آيات النعم التي سينعم الله بها على المؤمنون في الجنة ﴿وَفَكَهَةً مِّمَّا يَخَيْرُوتَ ۖ وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فما الذي سيجعل الناس يشتهون لحوم الطير في الجنة خاصة إلا أن يكونوا قد حُرِّمُوا منها في الدنيا وهل نحن نتشوق فقط للحوم الطير في الدنيا ولا نتشوق مثلاً للفاكهة التي ذكرت في الآيات ولكنها لم تقترن بلفظ يشتهون - مع أننا نتشوق للفاكهة وغيرها من المأكولات واللحوم الألد في بعض الأحيان من لحوم الطير.

ولماذا لحوم الطير عامة وليس الدجاج أو البط أو الحمام فالظاهر من الآية أن سبب الاشتهاة سيكون بسبب افتقاد الناس للحوم الطيور عامة بجميع أنواعها. أي أنه إن كان سبب الاشتهاة مرض فإنه سيعم جميع أنواع الطيور وليس نوع واحد وذلك بسبب استطاعة الطيور السفر والهجرة ونقل المرض إلى جميع أنواع الطيور في العالم وفي أي مكان - بالضبط كما يحدث الآن - عكس جنون البقر مثلاً الذي كان محصوراً وأمكن السيطرة عليه لعدم طيران البقر مثلاً مثل الطيور المهاجرة.

فنحن نرى اليوم بأم أعيننا الناس وهم يرمون الدجاج والبط والحمام والعصافير والسَّمَان والأوز الحى والمجمد وغيره والحسرة تملأ أعينهم وهم في أشد

الحاجة لأكل لحمه اللذيذ، ألا ترون أن تلك إشارة قرآنية لما يحدث الآن فلو استمرت الدول في إعدام الطيور بهذه الطريقة سيؤدي ذلك لانقراضها كما انقرضت الكثير من الحيوانات من قبل ويصبح لحم الطير ذكري نتشوق إليها كلما سمعنا عنها، وفي الجنة سيكون لحم الطير جزاء ومكافأة دونا عن سائر لحوم البقر والأغنام التي توجد في الجنة أيضا ولكن لم يذكر لنا الله في القرآن أننا سنتشوق لها.

فكما ترون الآن الناس تركت لحوم الطير واتجهت لشتى أنواع اللحوم الأخرى في تصديق عجيب للقرآن دون أن يقصدون ليصبح لحم الطير قريبا من اللحوم التي نشتاقي إليها جميعا. فسبحان من ذكر تلك الآية المعجزة، التي نحفظها عن ظهر قلب:

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾.

#### تعقيب:

الخطأ في هذا الفهم من وجوه:

الأول: الجزم بأن ذلك هو المقصود من الآية.

الثاني: أنه تقول على الله بغير علم.

الثالث: أنه لو فرض صحة ذلك في أهل آخر الزمان، أو في زمان معين تُفقد فيه لحوم الطيور، فكيف بالأمم الماضية؟ بل كيف بسواد هذه الأمة وكثرتها منذ زمن رسول الله ﷺ إلى زمان تظهر فيه "انفلونزا الطيور"؟! وما زال الناس يأكلون الطيور إلا ما ندر، فأين هو ذلك الاشتياق؟!

الرابع: أن لفظ ﴿يَشْتَهُونَ﴾ لم يرد في الطيور فحسب، بل هو وارد في غيرها من اللحوم والفواكه مما نفاه الباحث! وذلك كقوله تعالى في الفواكه: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (الطور: ٢٢)، وكقوله تعالى في الفواكه: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۖ وَفَوَكِهِ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (المرسلات: ٤١ - ٤٢)، بل جاء اللفظ بها هو أعم من ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (فصلت: ٣١).

وقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الزخرف: ٧١).

فلم يقتصر الأمر على "الطيور" بل جاء في عموم اللحوم والفواكه، بل في كل ما تشتهيه نفوس المؤمنين في الجنة. فلا يصح القول إذاً أن قوله تعالى: ﴿وَلَحَرِ طَيْرٌ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يُرادُ به "انفلونزا الطيور"، ولا أن في الآية إشارة إليه، لا من قريب ولا من بعيد. وعلى الإنسان أن يترى في القول بتفسير القرآن، وأن لا يقول فيه برأيه.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَارِثٌ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج: ٤٧)،** حيث حمله بعضهم على النظرية النسبية، وربط بينها وبين قول علماء الفلك إن وحدات الزمن التي يستخدمها الناس لتقدير الوقت في دنيانا مرتبطة بالأرض ودورانها حول محورها مرة كل ٢٤ ساعة، وحول محورها كل سنة، فإذا ما غادر أحد الأرض إلى أي جرم سماوي آخر اختلفت الوحدات الزمنية طويلاً وقصرًا، وقالوا إن الآية الكريمة تشير إلى هذه الحقيقة العلمية وإلى أن الزمن مختلف في مقداره، وأن هناك سنوات فلكية نسبية يمكن التفرقة بينها، فالسنة الشمسية على الأرض تحسب بمقدار الزمن الذي تقطع فيه الأرض دروة كاملة حول الشمس في ٣٦٥ يوماً شمسيًا على حين أن السيارات القريبة من الشمس مثل عطارد فإنه يقطع دورته حول الشمس في ٨٨ يومًا، على حين أن بلوتو وهو أبعد الكواكب السيارة من الشمس وأبطؤها حركة يتم دورته حولها في ٢٥٠ سنة من سنواتنا، فالأيام في ملك الله مختلفة طويلاً وعدداً.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير قوله تعالى: ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة: ٥)،** والربط بينها وبين سرعة الضوء، والقول بأن السرعة التي تجري بها الملائكة في الكون مطابقة تمامًا لسرعة الضوء، وسرعة الملائكة من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله ﷻ.

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۝١٥ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ (الإنسان: ١٥-١٦)، والربط بينه وبين ما ذكره العلماء من خواص الفضة، وأن معامل تعبئة الزجاجات الغازية تجعل في آخر مرحلة من تصنيعها للمواد أنابيب من الفضة، يجري الماء فيها من أجل التعقيم من الجراثيم، فالفضة تقضي على الجراثيم الموجودة في الماء، لخاصة إشعاعية، فإما أن يمرر الماء في أنابيب من الفضة، وإما أن توضع فيه بعض قطع الفضة. وأن هذا الفلز قاتل للبكتريا، وبمجرد تماس الماء مع معدن الفضة فإنه يطهر مما به من جراثيم.

ثم قال: «لم ذكر الله عز وجل الفضة، ولم يذكر الذهب، والذهب أثمن، والذهب أنية من أواني أهل الجنة؟! هذه إشارة قرآنية إلى خواص الفضة، وهذه الآية تؤكد أن الأصول العلمية موجودة في كتاب الله ﷻ».

#### تعقيب:

ما علاقة الآية بخواص الفضة؟ إن الحياة الآخرة ليست كالحياة الدنيا فهي غيب لا يعلمه إلا الله ﷻ، أما في الدنيا فقد قال ﷺ: «لَا تَشْرَبُوا فِي آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صَحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ» (رواه البخاري ومسلم).

ولما التركيز على الفضة وهناك في الجنة آنية من الذهب، فعن عبد الله بن قيس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ». (رواه البخاري ومسلم).

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير قوله ﷺ: «أَلَا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَلَامُ السَّبَّاحِ الْإِنْسِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلَّمَ السَّبَّاحُ الْإِنْسِ، وَيُكَلَّمَ الرَّجُلُ نَعْلُهُ، وَعَذَبَةُ سَوْطِهِ، وَيُخْبَرُ فِخْذُهُ بِحَدِيثِ أَهْلِهِ بَعْدَهُ» (رواه ابن حبان وصححه الألباني). (عذبة سوطه) أي طرفه.



فقد فسر أحدهم قوله ﷺ: «وَيُكَلِّمُ الرَّجُلُ نَعْلَهُ، وَعَذَبَةَ سَوْطِهِ، وَيُخَبِّرُهُ فَخِذُهُ بِحَدِيثِ أَهْلِهِ بَعْدَهُ» بأنه قد يكون المراد أجهزة الاتصال وآلات التسجيل وأجهزة التجسس المختلفة. وقال إن أجهزة الاتصال كثيرة الأشكال والأنواع وتنزل في كل فترة بمميزات مختلفة وتقوم بالتحدث مع الإنسان وشكل سماعاتها مثل عذبة السوط ومثل شراك النعل.

### تعقيب:

هذا تأويل بعيد جداً، فتكليم السباع لبني آدم في آخر الزمان حق على حقيقته. وكذلك تكليم الفخذ، وعذبة السوط، وشراك النعل، فكله حق على حقيقته وهو من خوارق العادات التي تكون عند اقتراب الساعة، وليس من صناعة الآدميين.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مِنْ صِنَاعَةِ الْآدَمِيِّينَ فَقَدْ تَكَلَّفَ غَايَةَ التَّكَلُّفِ. وقد قال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ» (رواه مسلم). فهذا نظير ما ثبت عن النبي ﷺ من تكليم السباع والفخذ والنعلين والسوط لبني آدم في آخر الزمان. وكله حق على حقيقته.

### \* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي قول أحدهم:

قام العالم توماس إديسون مخترع المصباح الكهربائي، بأكثر من ألف تجربة قبل أن ينجح في اكتشافه، الذي لم يتكلل بالنجاح إلا بعد أن هداه الله إلى وضع زجاجة حول المصباح، لتغطي السلك المتوهج، وتزيد من شدة الإضاءة، ويصبح المصباح قابلاً للاستخدام من قبل الناس، ولو كان هذا العالم يعلم ما في القرآن الكريم من آيات معجزات، لعلم أن مصباحه بحاجة إلى أن يغطى بزجاجة، كي ينجح ويضئ لمدة طويلة كما يجب، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ (النور: ٣٥).

تعقيب:

مَنْ قَالَ إِنَّ الْمُصْبَاحَ لَا يَشْتَعِلُ إِلَّا إِذَا كَانَ دَاخِلَ زُجَاجَةٍ؟!  
 لقد كانت المصابيح في القديم تُضيء وتشتعل من غير وجود زجاج!  
 إِلَّا أَنَّ الْمُصْبَاحَ يَجْعَلُ شُعْلَةً تَلِكِ الْمَصْبَاحِ ثَابِتَةً وَأَكْثَرَ إِضَاءَةً. هَذَا مِنْ جِهَةٍ.  
 وَمِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ. مَاذَا لَوْ جَاءَ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ بِمَصَابِيحٍ تُضِيءُ مِنْ غَيْرِ زُجَاجٍ.  
 وَهَذَا مُحْتَمَلٌ، فَإِلَى وَقْتٍ قَرِيبٍ كَانَتِ الْمَصَابِيحُ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ، وَالْآنَ عَشْرَاتُ الْأَنْوَاعِ!  
 فَقَدْ يَأْتِي زَمَنٌ وَيُضِيءُ الْمَصَابِ مِنْ غَيْرِ وَجُودِ زُجَاجَةٍ. فِيرْجِعْ هَذَا عَلَى الْقُرْآنِ  
 بِالتَّكْذِيبِ. وَأَنَّ مَا فَهَمْتُمُوهُ مِنْ وَجُودِ الْمَصْبَاحِ فِي زُجَاجَةٍ ثَبَتَ عَكْسَهُ.  
 وَلَكِنْ لَوْ قِيلَ: هَذَا مِمَّا يُسْتَأْنَسُ بِهِ، وَأَنَّ الْمَصْبَاحَ يَكُونُ أَكْثَرَ إِضَاءَةً، وَاشْدَّ  
 تَوَهُّجًا لَوْ كَانَ فِي زُجَاجَةٍ؛ لَبَقِيََتِ الْآيَةُ مُحْتَمَلَةً لِأَكْثَرِ مِنْ مَعْنَى. وَبِالتَّالِي فَلَوْ ثَبَتَ هَذَا أَوْ  
 بَطُلَ. فَالْآيَةُ بَاقِيَةٌ تَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِنْ مَعْنَى. كَمَا أَنَّا أَبْقَيْنَا عَلَى مَا فَسَّرَهَا بِهِ السَّلَفُ، مِنْ  
 الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ.

\* وَمِنَ الْأَخْطَاءِ فِي الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ قَوْلُ أَحَدِهِمْ:

بذلت وكالة الفضاء الأمريكية كثيرا من الجهد، وأنفقت كثيرا من المال، لمعرفة  
 إن كان هنالك أي نوع من الحياة على سطح القمر، لتقرر بعد سنوات من البحث  
 المضني والرحلات الفضائية، أنه لا يوجد أي نوع من الحياة على سطح القمر ولا ماء  
 ولو درس هؤلاء العلماء الأمريكيان كتاب الله، قبل ذلك، لكن قد وفر عليهم ما بذلوه،  
 لأن الله تبارك وتعالى قال في كتابه العزيز: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ  
 الْقَدِيمِ﴾ (يس: ٣٩). والعرجون القديم هو جذع الشجرة اليابس، الخالي من الماء  
 والحياة.

تعقيب:

تفسير الآية بأن العرجون القديم "هو جذع الشجرة اليابس، الخالي من الماء  
 والحياة" يُخْشَى أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَرَحِمَ اللَّهُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ إِذْ

كان يقول: «إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام». يعني لا تتكلم في مسألة من مسائل العلم لم يتكلم بها أحد من قبلك.

ثم إن سياق الآيات ليس في وصف القمر، بل في الحديث عن منازل له مثل البدر والهلal. وتشبيه القمر بالعرجون القديم في تقوُّسه وحاله آخر الشهر أي أنه كعودٍ عذق النخل القديم اليابس. قال البغوي في تفسير الآية: «والعرجون عود العذق الذي عليه الشَّارِخ، فإذا قَدِمَ عَتَقَ يَبُسَ وَتَقَوَّسَ وَاصْفَرَّ؛ فَشَبَّهَ الْقَمَرَ فِي دِقَّتِهِ وَصَفَرَتِهِ فِي آخِرِ الْمَنَازِلِ بِهِ». اهـ.

وهذا هو تفسير أكثر السلف، فالتشبيه ليس لأجل أن العذق لا حياة فيه، بل لكونه مُتَقَوِّسًا ضَعِيفًا.

#### \* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي استدلالهم بهذا الحديث:

عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَلَا عَقِبًا» (رواه مسلم).

قالوا: هذا الحديث يوافق ما أثبتته العلم من أن البالغين الذين يعانون من تشوهات خلقية، سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، لا يُنجبون أبدًا عند تزاوجهم، وأن الأجنة التي تولد ممسوخة، تولد ميتة، أو تعيش لبضعة أيام ثم تموت. وإذا كانت الإصابة أخف، مثلما يكون في حالة (ترنر TURNER) – الذي لا يوجد فيها إلا كروموسوم (صبغ أو جسيم ملون) واحد للجنس، وهو كروموسوم (X) – فإن صاحبة هذه الحالة تظهر كأنثى، ولكنها لا تحمل ولا تلد مطلقًا.

وكذلك حالة (كلينفلتر KLEINFELTER)، حيث يكون كروموسوم الجنس على هيئة (XXY)، أي يحمل شارتي الأنوثة، وشارة واحدة للذكورة، فيكون صاحب هذه الحالة، ذكرًا في الشكل، ولكنه بارد الهممة، خائر العزيمة، تبدو عليه آثار الأنوثة، وهو عقيم وعقيم.

ومن ذلك كله، يتبين لنا الإعجاز العلمي فيما أخبر به رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، وقرره العلم الآن.

**تعقيب:**

المُسَخُّ: هو قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة، وهذا التعريف هو ما تدل عليه نصوص الكتاب والسنة، وهو الموجود في بعض المعاجم، قال ابن فارس: "المسخ يدل على تشويهه، وقلة طعم الشيء، ومسخه الله: شَوَّه خلقه من صورة حسنة إلى قبيحة، ورجل مسيخ: لا ملامح له، وطعام مسيخ: لا ملح له ولا طعم".

وقال ابن الأثير: «المسخ: قلب الخِلقة من شيء إلى شيء»، هكذا دون تقييد بالقبح أو غيره.

وفي كلا التعريفين نجد أن المسوخ هو: ما كان على صورة، ثم غُيِّرَ إلى أخرى، وبناء على هذا، فلا تدخل الأمثلة التي ذكروها في مسمى المسخ، لأنها لم تُحوَّل من صورة إلى أخرى، بل خُلِقَتْ هكذا أصلاً.

أما قولهم إن البالغين الذين يعانون من تشوهات خلقية، سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً، لا يُنجبون أبداً عند تزاوجهم، فيحتاج إلى تقييد؛ فليس كل مشوه عقيم.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في الربط بين تقدير العلماء لعمر الكون وحديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه قَالَ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).**  
وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» قَالَ: وَضَمَّ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى. (رواه مسلم).

**قال أحدهم:** يقدر العلماء عمر الكون بمليارات السنين (٥, ١٣ مليار سنة)، وعمر الإنسان ضئيل جداً أمام عمر الكون، حيث بُعث سيدنا محمد صلوات الله وسلاماته عليه قبل ١٤٠٠ سنة فقط، أي أننا لو قسمنا ١٤٠٠ على ١٣٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ يكون الناتج صغيراً جداً بحدود ٠,٠٠٠٠٠٠١ أي نسبة واحد على عشرة ملايين.

ولذلك فإن التشبيه النبوي دقيق حيث قرن بين إصبعيه، للدلالة على أن زمن قدوم يوم القيامة قريب جداً بالنسبة لعمر الكون، والله أعلم.

**تعقيب:** هل تحديد عمر الكون بمليارات السنين (٥, ١٣ مليار سنة)، معلومة يقينية حتى نفسر بها حديث النبي ﷺ؟

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في الربط بين دوران الأرض والحديث الذي رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو قال حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ آيَاتِ خُرُوجِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَلَا أُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا».**

**قال أحد الباحثين:** اكتشف العلم الحديث أنه سيكون هناك ارتباك في دوران الأرض سيؤدي إلى طلوع الشمس من مغربها حيث بمعرفة كل من سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس في أيامنا الراهنة، ومعدل تباطؤ سرعة هذا الدوران مع الزمن، توصل العلماء إلى الاستنتاج الصحيح أن أرضنا سوف يأتي عليها وقت تجبر فيه على تغيير اتجاه دورانها بعد فترة من الاضطراب، فمنذ اللحظة الأولى لخلقها إلى اليوم وإلى أن يشاء الله تدور أرضنا من الغرب إلى الشرق، فتبدو الشمس طالعة من الشرق، وغاربة في الغرب، فإذا انعكس اتجاه دوران الأرض طلعت الشمس من مغربها وهو من العلامات الكبرى للساعة ومن نبوءات المصطفى ﷺ.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير حديث الدجال الذي رواه مسلم عن النّوّاس بن سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، وَفِيهِ: قُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبِئْتُهُ فِي الْأَرْضِ؟». قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟». قَالَ: «لَا، أَقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ».**

فقال أحد الباحثين إن استطالة الأيام ثم قصرها وانتظامها بعد ذلك إعجاز كوني في هذا الحديث، وقال إن من الأمور العجيبة أن يأتي العلم التجريبي في أواخر القرن العشرين ليؤكد أنه قبل تغيير اتجاه دوران الأرض حول محورها أمام الشمس

ستحدث فترة اضطراب نتيجة لتباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها، وفي فترة الاضطراب تلك ستطول الأيام بشكل كبير ثم تقصر وتنظم بعد ذلك.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التكلف في الربط بين أيام البيض وصيامها وما قيل بأنه حقيقة علمية، بناءً على قول باحث!!!**

**ما ورد في السنة:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي عليه السلام بِثَلَاثِ صِيَامٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتَيِ الصُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ». (رواه البخاري ومسلم).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام أَنْ نَصُومَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الْبَيْضِ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ». (رواه النسائي، وحسنه الألباني).

**قال أحدهم:**

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام أَنْ نَصُومَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الْبَيْضِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ».

سُقْتُ هذا الحديثَ لأربطَ ربطاً محكماً بينه وبين حقيقة علمية، وهي أنه ثبت أن هناك علاقةً بين حركة الإنسان في الحياة ودورة القمر، فقد جاء باحثٌ وأخذَ ملفاتِ دوائرِ الشرطة في الأيام التي تقابلُ أيامَ البيضِ، فوجدَ أن نسبَ الحوادثِ أعلى بكثيرٍ من بقية الأيام، فالإنسانُ حينما يصومُ ثلاثةَ أيامٍ من كلِّ شهرٍ، ولا سيما هؤلاء الذين يشكون من عصبية المزاج، فإنَّ صيامَ أيامِ البيضِ، أي الثالثَ عشرَ، والرابعَ عشرَ، والخامسَ عشرَ له تأثيرٌ فيهم، والذي يأتي به النبي عليه السلام كما تعلمون ليس من خبرته، ولا من اجتهاده، ولا من ثقافته، ولا من علمه الشخصي، إنما هو وحيٌّ من الله عز وجل، ربما كان هناك علاقةٌ بين دورة القمر، واضطراب الإنسان، فالصيامُ قد يهدِّئ من اضطرابِ النفس، ومن رُعونتها.

**وقال آخر:**

ظهرت في الأعوام الأخيرة أبحاث علمية كثيرة مفادها أن القمر عندما يكون بدرًا، أي في الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، يزداد التهيج العصبي والتوتر

النفسي إلى درجة بالغة. ويقول الدكتور "ليبر" عالم النفس بميامي في الولايات المتحدة: «إن هناك علاقة قوية بين العدوان البشري والدورة القمرية وخاصة بينه وبين مدمني الكحول، والميالين إلى الحوادث وذوي النزعات الإجرامية، وأولئك الذين يعانون من عدم الاستقرار العقلي والعاطفي».

ويشرح "ليبر" نظريته قائلاً: «إن جسم الإنسان مثل سطح الأرض يتكون من ٨٠٪ من الماء والباقي هو المواد الصلبة». ومن ثمَّ فهو يعتقد بأن قوة جاذبية القمر التي تسبب المد والجزر في البحار والمحيطات تسبب أيضًا هذا المد في أجسامنا عندما يبلغ القمر أوج اكتماله في أيام البيض.

ويقول الدكتور "ليبر" في كتابه "التأثير القمري" إنه نبه شرطة ميامي، كما طلب وضع أخصائي التحليل النفسي في "مستشفى جاكسون التذكاري" في حالة طوارئ تحسباً للأحداث التي ستقع نتيجة الاضطرابات في السلوك الإنساني، والمتأثرة بزيادة جاذبية القمر.

### الرد على هذا الإعجاز المزعوم:

مع صحة الحديث الخاص بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، إلا أنه لا يصحّ ما قيل من الإعجاز العلمي التجريبي المذكور أعلاه، للأسباب التالية:

**أولاً:** البحث تنقصه المراجع مما يشكك في مصداقية البحث بمنتهى السهولة، فلو كان البحث يستند إلى علم قوى لفاخر الباحث بمصدر معلوماته.

**ثانياً:** يزعم البحث أن هناك أبحاثاً كثيرة تثبت تأثير القمر على الإنسان ولم يأت منها إلا بقول عالم واحد، ولم يذكر اسمه بالكامل، أو منصبه العلمي، أو المجلة العلمية التي نشرت البحث.

**ثالثاً:** حتى وإن صح من الناحية العلمية الربط بين القمر والنواحي النفسية للإنسان (وهو غير صحيح)، فالحديث لا يوجد به أى ربط بين الصيام وتأثير القمر على النواحي النفسية، من الذى يجزم بأن النبى ﷺ أمر بصيامها لارتباطها بتأثير القمر.

رابعاً: إذا كان صيام هذه الأيام يقى من شر مستطير فلماذا لم يفرضها النبي ﷺ كما فرض شهر رمضان، فمعلوم أن صيام هذه الأيام محمول على النذب (الاستحباب) لا على الوجوب، فالنبي ﷺ كان يعرض له عارض فلا يصومها مما يدل على عدم الوجوب، وهذا متفق عليه. فهل من المنطق أن النبي ﷺ يعلم أن البشر يتأثرون بالقمر ويرتكبون أفعالاً إجرامية ثم لا يجعل صيام هذه الأيام فريضة.

وهذه الأيام الثلاثة يجوز أن تُصام متوالية أو متفرقة، ويجوز أن تكون من أول الشهر، أو من وسطه، أو من آخره، والأمر واسع والله الحمد، فعن مُعَاذَةَ الْعَدَوِيَّةَ أَنَّهَا سَأَلَتْ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: «أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؟». قَالَتْ: «نَعَمْ». فَقُلْتُ لَهَا: «مِنْ أَيِّ أَيَّامِ الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ؟». قَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أَيِّ أَيَّامِ الشَّهْرِ يَصُومُ». (رواه مسلم).

لكن اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر أفضل، لأنها الأيام البيض الواردة في حديث أبي ذر رضي الله عنه السابق.

فإذا كان النبي ﷺ لم يهتم بأن تكون الثلاثة أيام في منتصف الشهر فلماذا نعظم هذه الأيام القمرية، ونقيم عليها إعجازاً مزعوماً؟

خامساً: إذا كان القمر يؤثر على الناحية النفسية للبشر بالليل وليس بالنهار، فلماذا لم يأمر النبي ﷺ بصيام الليل بدلا من النهار، حيث يكون التعرض لجاذبية القمر أكبر وتأثيره على ماء الجسد أقوى من فترة النهار التي لا يتعرض فيها الجسد لجاذبية القمر.

سادساً: يقول البحث «إن جسم الإنسان مثل سطح الأرض يتكون من ٨٠ ٪ من الماء والباقي هو المواد الصلبة». ومن ثم فهو يعتقد بأن قوة جاذبية القمر التي تسبب المد والجزر في البحار والمحيطات تسبب أيضاً هذا المد في أجسامنا عندما يبلغ القمر أوج اكتماله في أيام البيض.

وإذا صح هذا الكلام على المستوى النظرى فلن يتحقق على المستوى العلمى العملى، حيث إن ماء الأرض في أى بحر متصل (أى كتلة واحدة كبيرة) ويمكن أن



يحدث تأثير جذب واضح من القمر عليه، أما في جسم الانسان فغالبا الماء يوجد بداخل الخلايا وبالتالي فهو منفصل بحدود الخلايا، كما أن الماء بداخل الأوعية الدموية يخضع لعدة قوانين ربما جعلت تأثير القمر محدودًا.

وقد أكدت بعض الدراسات العلمية على أن العلاقة بين القمر والإنسان مجرد سراب، وهناك العديد من الأبحاث التي تثبت أن تأثير القمر على الانسان خرافة منشؤها:

- الإعلام (من خلال أفلام الخيال).
- خرافة موروثة من بعض الفولكلور الشعبي لبعض الأمم البائدة كالبابلية.
- الاعتقاد الخاطيء في أن القمر يؤثر على ماء الانسان الذي يمثل ٨٠ ٪ من وزن الانسان.

وقد نفى أحد الباحثين هذا الاعتقاد الخاطيء معللاً ذلك بأن قوة جذب القمر على الإنسان ضعيفة بسبب بُعده الشديد عنا، حتى إن قوة الجذب بين أم وطفلها المحمول بين يديها تفوق قوة جذب القمر بمقدار ١٢ مليون مرة. كما أن ماء البحار حُرٌّ بينما ماء الانسان مرتبط غير حر ولا متصل ببعضه ببعض.

وعلى موقع "مجلة العلوم الأمريكية" نفى أحد الباحثين بشدة أن تكون هناك علاقة بين القمر وماء الانسان وعدّها من الخرافات للأسباب التالية:

- البعد الشديد بين القمر والانسان، مما يستحيل معه وجود قوة جذب معقولة بين القمر وماء الانسان، بل إن بعوضة على ذراع الانسان لها قوة جذب على الإنسان أكثر من القمر بكثير.
- القمر يؤثر على الماء المفتوح في البحار والمحيطات فقط، وليس على الماء المحدود بالخلايا.
- قوة جذب القمر في أى يوم من الشهر القمري ثابتة ولا تتغير إلا بتغير بُعد القمر عنا.

ومن الأبحاث العربية الحديثة التي تدعم الكلام السابق بحث رائع للدكتور حسن محمد صندقجي، استشاري أمراض الباطنية والقلب في "مركز الأمير سلطان للقلب في الرياض"، وهى بعنوان "تأثيرات القمر على صحة الإنسان ... خرافة أم حقيقة؟" (١).

وقد أكد فضيلة الدكتور على أن من يطلع على موروثات الأمم السابقة يجد من بينها من يعتقد في القمر تأثيراً بالغاً، وخاصة إن كان مكتملاً، وذلك التأثير في سلوك العنف، والإجرام، والتسبب في نوبات الصرع، وتأثيره في خصوبة المرأة، وغيرها.

ومن يطلع على بعض البحوث المعاصرة يجد تأييداً لتلك الموروثات من قبل بعض الأطباء والباحثين، ويؤيدون ذلك في أبحاثهم، حتى غدا ذلك - عند كثيرين - عقيدة لا تترجح، وقناعة لا يُشك فيها.

وقد تتبع الدكتور حسن تلك الدراسات المثبتة لذلك التأثير، ونقل أسماء القائلين بها، ومراكزهم العلمية، ثم ذكر الدراسات التي تُردّ على تلك السابقة، والتي تُبين خطأها، وأيدها، وبين أنها هي الصواب.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير قول رسول الله ﷺ:**  
 «تَقَى الْأَرْضَ أَفْلَاحًا كَبِدَهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ. وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَجِمِي. وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ يَدِي ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا». (رواه مسلم). حيث قال أحدهم إن وصف ما تلقىه الأرض أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ينطبق على البترول في العصر الحديث، وفي هذا التفسير تكلف ظاهر وصرّف للفظ عن حقيقته.

(١) وهو منشور على جريدة الشرق الأوسط بتاريخ الأحد ١١ شوال ١٤٢٩ هـ، ١٢ أكتوبر ٢٠٠٨، العدد ١٠٩١١.

قال أحد الباحثين: معنى الحديث كما فهمه قدامى أهل العلم أن كنوز الأرض ستخرج من بطنها إلى ظهرها وهذه الكنوز ستكون مثل أسطوانات من الذهب والفضة أى أنها لن تكون حقيقةً أسطوانات من الذهب والفضة ولكنها ستكون مثل أسطوانات من الذهب والفضة، فهل هناك كنوز خرجت من باطن الأرض إلى ظهرها في زمننا هذا ويمكن أن نقول عنها أنها مثل أسطوانات من الذهب والفضة؟ نعم هذا الوصف ينطبق على البترول بصورة ملفتة للنظر.

فلا شك أن النفط هو كنوز الأرض وأنه في عصرنا الحالى مصدر للثروة في العديد من الدول كدول الخليج العربي وهو بالفعل يخرج من بطن الأرض. وتشبيهه خروجه بالقيء هو تشبيه دقيق جداً بالفعل.

فالإنسان يتقيأ ما أكله من الطعام والبترول تكوّن من النباتات والحيوانات التي كانت تعيش في المحيطات من ملايين السنين وعندما ماتت هذه الكائنات هبطت أجسادها إلى طبقات الأرض في قيعان المحيطات وتحللت وتكون منها النفط والغاز الطبيعي.

فكأن هذه الكائنات بعد موتها طعام أكلته الأرض وهضمته فكوّنت منه النفط والغاز الطبيعي وبطبيعة الحال فعندما يخرج النفط مرة أخرى من بطن الأرض بعد ملايين السنين فكأنما هى تُخرج ما في بطنها من طعام فيكون أدق لفظ يمكن استخدامه هنا هو تقيء الأرض.

سبحان الله. بالفعل اللفظ النبوي دقيق بصورة مذهشة. لا يوجد لفظ أدق من (تَقِيءُ الْأَرْضُ) يمكن استخدامه هنا.

نأتى إلى (أَمْثَالِ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ). طبعاً تشبيه النفط بالذهب والفضة مفهوم لأنه مصدر للشراء. والملفت للنظر أن البشر بغير اطلاع منهم على الحديث استخدموا نفس التشبيه النبوي الدقيق في وصف النفط فوصفوه بالذهب الأسود.

نأتى إلى (الأسطوان) وهى جمع أسطوانة، وطبعا شكل الأسطوانة معروف. والنفط يوضع فى براميل أو أسطوانات مما يوضح دقة التشبيه.

وهكذا نرى أن لفظ (تَقْيُّ الأَرْضِ) دقيق فى وصف خروج البترول من الأرض، وأن تشبيه البترول بالذهب والفضة هو تشبيه دقيق لأن النفط مصدر للثراء وقد اعتاد الناس أن يطلقوا عليه الذهب الأسود، وأن النفط يوضع فى براميل أو أسطوانات مما يوضح دقة التشبيه (أَمْثَالُ الأُسْطُوانِ).

#### تعقيب:

١ - إن آخر هذا الحديث يردُّ هذا التفسير، فهل عندما ظهر البترول حدث ما قاله النبي ﷺ: «يَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قَتَلْتُ. وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي. وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا». فهل تركت الدول أو الأفراد البترول فلم يأخذوا منه شيئا؟ وهل قالوا ما جاء فى الحديث؟ فهل قتل أحد أحدا بسبب البترول؟ وهل قطع أحد رحمه بسبب البترول؟ وهل قُطِعَتْ يد أحد بسبب البترول؟ فلا يصح تفسير أول الحديث بمعزل عن آخره.

٢ - أما قوله فى تفسير قوله ﷺ: (أَمْثَالُ الأُسْطُوانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) أن الكنوز ستكون مثل أسطوانات من الذهب والفضة أى أنها لن تكون حقيقة أسطوانات من الذهب والفضة ولكنها ستكون مثل أسطوانات من الذهب والفضة، فيقال فى الرد عليه: ظاهر معنى الحديث أن الكنوز التى ستخرج إنما هي من الذهب والفضة، والمعنى أن الذهب والفضة يكونان فى العِظَمِ وَالْكَثَرَةِ مثل الأسطوانات. وليس المعنى أنها ما يخرج ليس من الذهب والفضة.

#### معنى الحديث:

(تَقْيُّ الأَرْضِ): مُضَارَعٌ مِنَ الْقَيِّءِ أَيْ تُلْقِي الأَرْضُ.

(أَفْلَازَ كَبِدَهَا) جَمْعُ الْفِلْدَةِ وهى الْقِطْعَةُ مِنْ كَبِدِ الْبَعِيرِ، وَقِيلَ: هِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ، وَقِيلَ هِيَ الْقِطْعَةُ الْمُقْطُوعَةُ طَوْلًا، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ التَّشْبِيهِ، أَيْ تُخْرِجُ مَا فِي

جَوْفَهَا مِنْ الْقِطْعِ الْمُدْفُونَةِ فِيهَا. وَسُمِّيَ مَا فِي الْأَرْضِ كِبْدًا تَشْبِيهَا بِالْكَبِدِ الَّتِي فِي بَطْنِ  
الْبَعِيرِ لِأَنَّهَا أَحَبُّ مَا هُوَ مُحَبَّبٌ فِيهَا، كَمَا أَنَّ الْكَبِدَ أَطْيَبُ مَا فِي بَطْنِ الْبَعِيرِ وَأَحَبُّهُ إِلَى  
الْعَرَبِ. فَالْمَعْنَى تَظْهَرُ كُنُوزُهَا وَتُخْرِجُهَا مِنْ بُطُونِهَا إِلَى ظُهُورِهَا. وَالْأُسْطُوان - بِضَمِّ  
الْهَمْزَةِ وَالطَّاءِ وَهُوَ جَمْعُ أُسْطُوانَةٍ - وَهِيَ السَّارِيَّةُ وَالْعَمُودُ، وَشَبَّهَهُ بِالْأُسْطُوانِ لِعِظَمِهِ  
وَكَثَرَتِهِ.

(وَيَحْيَى الْقَاتِلُ): أَيُّ قَاتِلِ النَّفْسِ. (فِي هَذَا): أَيُّ فِي طَلَبِ هَذَا الْغَرَضِ لِأَجْلِ  
تَحْصِيلِ هَذَا الْمَقْصُودِ. (وَيَحْيَى الْقَاطِعُ): أَيُّ قَاطِعِ الرَّحِمِ. (ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ  
شَيْئًا): أَيُّ: يَبْرُكُونَ مَا قَاءَتْهُ الْأَرْضُ مِنَ الْكَثَرِ أَوْ الْمُعْدِنِ.

### \* ومن الأخطاء الفاحشة في الإعجاز العلمي قول أحدهم:

أنا طيب عيون وقد تعمقت كثيرا في حديث الرسول الكريم ﷺ الذي يقول  
فيه: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا وَإِذَا سَمِعْتُمْ  
نَهيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

ومن هذا الحديث يتضح لنا أن قدره الجهاز البصري للإنسان محدودة وتختلف  
عن القدرة البصرية للحمير، والتي بدورها تختلف في قدرتها عن القدرة البصرية  
للدِّيكة، وبالتالي فإن قدرة البصر لدى الإنسان محدودة لا ترى ما تحت الأشعة الحمراء  
ولا ما فوق الأشعة البنفسجية، لكن قدرة الدِّيكة والحمير تتعدى ذلك.

والسؤال هنا: كيف يرى الحمار والديك الجن والملائكة؟

الجواب: هو أن الحمير ترى الأشعة الحمراء، والشیطان وهو من الجن خلق  
من نار أي من الأشعة تحت الحمراء، لذلك ترى الحمير الجن ولا ترى الملائكة، أما  
الدِّيكة فترى الأشعة البنفسجية والملائكة مخلوقة من نور أي من الأشعة البنفسجية،  
لذلك تراها الدِّيكة، وهذا يفسر لنا لماذا تهرب الشياطين عند ذكر الله ﷻ. والسبب هو  
أن الملائكة تحضر إلى المكان الذي يذكر فيه الله فتهرب الشياطين.

والسؤال: لماذا تهرب الشياطين عند وجود الملائكة؟ الجواب: لأن الشياطين  
تتضرر من رؤية نور الملائكة. بمعنى آخر، إذا اجتمعت الأشعة فوق البنفسجية

والأشعة الحمراء في مكان فإن الأشعة الحمراء تتلاشى.

وعن ابن عباس وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء <sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أَبْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّاهِبِ وَحَمْرَةَ تُغْسِلُهُمَا الْمَلَائِكَةُ. (رواه الطبراني وحسنه الألباني).

وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالْأَعْنَاقِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ، كَأَنَّهَا الْحَذَفُ». (رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ). (الْحَذَفُ): هِيَ الْأَغْنَامُ السُّودَاءُ الصَّغَارُ.

هذه الأحاديث الثلاثة تبين لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتمتع بميزة وهي:

في الحديث الأول أنه كان يرى بالليل كرؤيته بالنهار، وهذا ما توصل إليه العلم بعد ١٤٢٠ عام. وذلك عن طريق المناظير الليلية التي ترى بالليل، ورغم ذلك فإن الرسول يتفوق بصرياً على هذه المناظير، لأنه كان يرى بالليل بكل وضوح كرؤيتنا نحن بالنهار، أما المناظير الليلية المصنوعة الآن فإنها لا ترى بالليل بشكل واضح، فأكثر هذه المناظير تكون فيها الرؤيا ذات لون واحد، أخضر أو أحمر مثلاً.

أما في الحديث الثاني، وهو رؤيته للملائكة، فهذا يثبت أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى الأشعة فوق بنفسجية، وإلى الآن وبعد ١٤٢٠ عام لم يتمكن العلم من اختراع جهاز يرى الأشعة فوق بنفسجية، وإلا لكانوا رأوا الملائكة.

أما الحديث الثالث، فأعتقد أنه قد اتضح لكم ولا يحتاج إلى شرح.

(١) هذا الحديث رواه ابن عدي في "الكامل في ضعفاء الرجال"، والبيهقي في "دلائل النبوة"، وقال الألباني: «موضوع».

وقال تعالى في وصف حور العين: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتُ الْأَطْرَفِ عَيْنٌ﴾ (الصفات: ٤٨). عندما اجتمعت كلمتا «قَصْرَتُ» و«عَيْنٌ» في آية واحدة تبادر إلى ذهني موضوع قَصَرِ النظر، وهي الحالة التي لا يرى المصاب بها إلا عن قرب، وكبر حجم العدسة هو أحد الأسباب الهامة لقَصَرِ النظر، الذي في نفس الوقت يُضفى لصاحبه حسناً وبهاءً، وقصير النظر لا يستطيع رؤيه الأشياء البعيدة بوضوح بدرجة تتفاوت بتفاوت شدته.

### تعقيب:

**أولاً:** هذا الموضوع يتضمن تكلّفاً وتعسّفاً وتفسيرات غريبة لنصوص الوحيين (الكتاب والسنة). ويتضمن رجماً بالغيب، فمن الذي أخبره أن الملائكة خُلِقَتْ من الأشعة البنفسجية؟! ومن الذي أخبره بأن الشياطين خُلِقَتْ من أشعة حمراء أيضاً؟! نعم، النبي ﷺ أخبرنا أن الملائكة خُلِقَتْ من نور (رَوَاهُ مُسْلِمٌ). وتجاوز ذلك يُعَدُّ رجماً بالغيب، ويُخشى على المتخوِّض فيه أن يهلك أو أن يزيغ.

**ثانياً:** إنه يزعم أنه لا يُمكن رؤية الملائكة، وهذا غير صحيح. فقد ثبت عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم رؤية الملائكة ومصافحتهم. وهذا يردّ القول بأنها خُلِقَتْ من أشعة لا يُمكن للبشر رؤيتها.

**ثالثاً:** تفسير قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتُ الْأَطْرَفِ عَيْنٌ﴾، بالمصطلح الطبي المعروف وهو قَصَرِ النظر بحيث لا يستطيع صاحبه رؤية الأشياء البعيدة، لا نعلم أحداً من أهل العلم قال به، وقد ذكر ابن القيم أن المفسرين كلهم على أن المعنى: قصرن أطرافهن على أزواجهن، فلا يطمحن إلى غيرهم. وفي هذا إشارة إلى أن رؤيتهن لغيرهم ممكنة<sup>(١)</sup>.

(١) قال الشيخ السعدي في تفسيره (ص ٧٠٢): أي: وعند أهل دار النعيم، في محلّاتهم القريبة، حور حسان، كاملات الأوصاف، قاصرات الطرف، إما أنها قصرت طرفها على زوجها، لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه، ولا ترغب إلا به، وإما لأنها قصرت طرف زوجها

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي استدلال أحدهم على ما أثبتته العلم الحديث من أنه لا يوجد فراغ في الكون، بهذا الحديث: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقُّ لَهَا أَنْ تَنْطَبِطَ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ» (رواه الإمام أحمد في المسند، والترمذي، وصححه الألباني).

قال الباحث: «القرآن الكريم يتحدث في آيات كثيرة ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٦٥)، ليس هناك فراغ، ليس هناك مناطق خالية كما كان يتخيله العلماء؛ في سورة الحجر ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر: ٨٥)، انظروا إلى لفظة: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، التي يؤكد عليها القرآن الكريم، تأكيداً شديداً في آيات كثيرة متعددة...».

وذكر عدداً من الآيات، ثم قال: «ثم يأتي العلم ليؤكد أن المادة تنتشر في فسحة هذا الكون، وأنه لا يوجد شيء اسمه فراغ، حتى المسافات التي تنتج عن تباعد هذه المجرات تباعدًا هائلًا عن بعضها، تتخلق فيها المادة في الحال لتملأها، ولولا ذلك ما وصلتنا أضواء هذه النجوم، فتأكد العلماء في السنوات الأخيرة من هذا القرن، أنه لا يوجد شيء اسمه فراغ، بل إن هذه المسافات البينية الشاسعة الهائلة، التي تتكون نتيجة تباعد هذه المجرات، تمتلئ بالمادة مباشرة».

عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها، أن يقصر طرفه عليها، وقصر الطرف أيضاً، يدل على قصر النفس والمحبة عليها، وكلا المعنيين محتمل، وكلاهما صحيح، وكل هذا يدل على جمال الرجال والنساء في الجنة، ومحبة بعضهم بعضاً، محبة لا يطمح إلى غيره، وشدة عفتهم كلهم، وأنه لا حسد فيها ولا تباغض، ولا تشاحن، وذلك لاتقاء أسبابه. ﴿عَيْنٌ﴾ أي: حسان الأعين جميلاتهما، مَلَأُ الْحَدَقِ.



ومن العلماء الفلكيين البارزين في عصرنا هذا عالم بريطاني اسمه "فريد هويل"، وهو من أشهر علماء الفلك المعاصرين، وله نظريات علمية كثيرة صحيحة مسماة باسمه، وبعد أن بلغ سن السبعين تقريباً، تفرغ لمراجعة كتاباته ومعلوماته، فألف كتاباً اسمه "الكون الذكي"، يقول فيه: «كنا ننكر وجود الخالق، فإذا بالخالق يؤكد وجوده بامتلاء الفراغات الناتجة عن اتساع هذه المجرات، بمادة تتخلق من حيث لا ندري، فهذه شهادة بأن الذي خلق هذا الكون، هو الذي يخلق هذه المادة؛ ليملاً بها هذه المسافات الشاسعة، التي تتكون بين المجرات المتباعدة عن بعضها».

وفي الحديث الصحيح يقول الرسول ﷺ: «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقُّ لَهَا أَنْ تَتَّطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكَ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ». لا يوجد فراغ، الكون مزدحم بالخلق، ولكنه خلق لا ندركه، لا نعرفه، ليست لدينا الوسائل للإمام به، والعلماء في العالم كله يقولون إن الكون فراغ، بعد نطاق الغلاف الغازي للأرض لا يوجد شيء...!! من الذي علم محمداً ﷺ ذلك، إذا لم يكن موصولاً بخالق السماوات والأرض».

### تعقيب:

**أولاً:** بنى الباحث استدلاله على نظرية لأحد علماء الفلك!! وهذه النظرية قد يأتي في المستقبل من يطعن في صحتها، فهل يصح أن نربط بها تفسير كلام الله ﷻ؟

**ثانياً:** الحديث لا يدل على ما ذهب إليه الباحث، فالحديث يتحدث عن السماء، وعن الملائكة، والباحث يتكلم عن اكتشاف مادة تملأ الكون المنظور والمسافات بين أجرامه.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي الاستدلال بذكر الطير الأبايل في سورة "الفيل" على أن القرآن قد دل على وجود الطائرات النفاثات التي تحمل القذائف وتقذف بها على الجيوش المعادية. ولا يخفي ما في هذا الاستدلال من التكلف والقول في القرآن بغير علم، وحمل القرآن على غير محامله. وما أعظم ذلك وأشد خطره.**

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير حديث الدجال الذي رواه مسلم عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه وفيه: قُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟»، قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتُهُ الرِّيحُ». والزعم أن الحديث يدل على وجود الطائرات في آخر الزمان. وأن سرعة الدجال في الأرض إنما تكون على مثل الطائرات.

وهذا مردود بما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في الدجال: «وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ عَرُضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا» (رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح علي شرط البخاري ومسلم).

وفي النص على ركوب الدجال على الحمار، ومجيئه عليه أبلغ رد على من زعم أنه يجيء على الطائرات أو غيرها مما صنعه الأدميون، وركوبه على الحمار الموصوف بما تقدم ذكره أبلغ في الافتتان به من ركوبه على الطائرات وغيرها مما قد عرفه الناس واعتادوا ركوبه، وسيره على الحمار العظيم الجسم قد يكون أسرع من سير الطائرات بكثير، والذي يظهر أن مركوب الدجال وما يُجره الله على يديه من الأمور الغريبة إنما يكون ذلك من خوارق العادات، لا من الأمور العادية التي قد عرفها الناس وذلك أبلغ في الابتلاء والامتحان.

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التعسف في تفسير حديث أبي موسى عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَتَفَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». (رواه البخاري ومسلم). (الأجاذب): هي الأرض التي لا تُنبت كلاً. (القيعان): الأرض التي لا نبات فيها.

وقد استدل أحدهم بهذا الحديث على سبق الحديث العلمي، لعلم التربة والجيولوجيا والجغرافيا والطبيعة، وتكلم على أنواع التربة بالتفصيل، فذكر الأنواع التي

وردت في الحديث، وأقسام كل نوع، وتركيبها الكيميائي، ثم ذكر عقب أكثر من فقرة: أن النبي ﷺ أخبرنا بهذا منذ ألف وأربع مائة سنة.

### التعليق:

إدخال الباحث للحديث في مجال الإعجاز العلمي، وقوله إن أنواع التربة المذكورة في الحديث، إنما عُرِفَتْ بجلاء بواسطة العلم المعاصر؛ فيه نظر، فالنبي ﷺ يبين أنواع الناس في استقبال الهدى والعلم الذي جاء به، بمَثَلٍ محسوس مُشاهد، خاصة للعرب أهل الرعي والزراعة؛ فذكر لهم أمراً يعرفونه حق المعرفة، فلا يحتاج الأمر لكل هذا العناء.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي استدلال أحدهم على الإعجاز العلمي للسنّة بحديث عائشة رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الرَّحْمُ شَجْنَةٌ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).**

فقال - بعد أن ذكر الحديث، وفسر الشجنة بأنها فروع الشجر المتشابك - : «وهذا ما أثبتته علم التشريح، من أن الرحم موضوع في وسط حوض المرأة، حتى يكون محمياً ومصوناً من كل أذى ... وهو عضو عضلي أجوف ...»، وذكر وصف الرحم وتشريحه، إلى أن قال: «وللرحم قناتان، على كل جانب واحدة، وتنتهي قناة الرحم بانتفاخ يعرف باسم (البوق)، الذي يحيط بالمبيض بمجموعة من الأهداب».

ثم قال: «من هذا يظهر لنا الرحم كفرع شجرة متشابك، وهو ما أخبر عنه الرسول ﷺ بقوله: «الرَّحْمُ شَجْنَةٌ»، مما يعد وصفه إعجازاً علمياً، لاسيما قبل أن نعرف علماً يسمى علم التشريح، الذي يصف أجزاء الجسم البشري بالدقة والبيان الواضح».

## تعقيب:

الرحم في الإنسان عبارة عن عضو عضلي مجوف ذو جدار سميك يتصل من أعلى بقناة فالوب، ويشبه الرحم ثمرة الكمثرى المقلوبة في الشكل والحجم ويبلغ طوله حوالي ٧ سم وعرضه حوالي ٥ سم. ويتمدد الرحم خلال فترة الحمل ويتضاعف ٢٢ مرة من ٥٠ جرامًا قبل الحمل وحتى ١١٠٠ جرام عند الولادة ليتسع للجنين الذي ينمو بداخله.

والاستدلال بهذا الحديث، يتوقف على معرفة المراد بالرحم في الحديث؛ وفي المعاجم اللغوية أن الرحم تطلق على العضو الذي يخلق فيه الجنين، وتطلق على الأقارب، وهي في هذا الحديث مقرونة بالصلة أو القطيعة، وهذه القرينة تصرفها إلى أن المراد بها القرابة.

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي تعسف أحدهم في الاستدلال على حجم الأرض بالنسبة للكون بحديث: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ». (رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني).

فقال أحد الباحثين إن هذا الحديث يوافق ما أثبتته علم الفلك الحديث، من أن الأرض شيء صغير جدًا جدًا، بالنسبة للأجرام الكونية ذات الأعداد الهائلة.

## تعقيب:

المراد القيمة المعنوية للعالم، وليس المراد الحجم، ولذا قد ينعكس هذا الدليل، فيدل على الكبر والضخامة في الحجم، يعني مع كبر الأرض وضخامتها، فهي لا تساوي جناح بعوضة. ويؤيد هذا أن الحديث ورد بلفظ «الدنيا»، ولم يرد بلفظ «الأرض». والدنيا: "نقيض الآخرة"، و"سميت الدنيا لدنوها".

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي تعسف أحدهم في الاستدلال على كلام الجيولوجيين بهذا الحديث: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ شَبْرًا مِنَ الْأَرْضِ طُلُمًا فَإِنَّهُ يُطَوِّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ» (رواه البخاري) ورواه مسلم بلفظ: «مَنْ أَخَذَ شَبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بَغَيْرِ حَقِّهِ طَوَّقَهُ فِي سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

## معنى الحديث:

التطويق المذكور في الحديث يَحْتَمِلُ أَنْ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَحْمِلُ مِثْلَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ، وَيُكَلِّفُ إِطَاقَةَ ذَلِكَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يُجْعَلُ لَهُ كَالطَّوْقِ فِي عُنُقِهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٨٠)، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يُطَوَّقُ إِثْمَ ذَلِكَ وَيَلْزَمُهُ كَلْزُومُ الطَّوْقِ بِعُنُقِهِ<sup>(١)</sup>.

استدل أحدهم بهذا الحديث على ما قاله الجيولوجيون من أن الأرض سبع طبقات، وذكر أن طبقات الأرض هي:

- ١ - الطبقة الهوائية.
- ٢ - الطبقة المائية.
- ٣ - السيلال (القشرة الأرضية).
- ٤ - السيميا (طبقة من السلوكيات الخفيفة والثقيلة).
- ٥ - السيميا الحديدية (سيحا) وهي طبقة من الأكاسيد والبريتيدات.
- ٦ - النيجا (سائل من الحديد والنيكل).
- ٧ - النواة المركزية.

## تعقيب:

عَدُّ الهواء والماء من طبقات الأرض، خطأ - وخاصة عندما نتحدث عن تركيب الأرض - وهو يخالف الحديث، والصواب أن الهواء والماء من أغلفة الأرض، والأرضين الست هي تحت أرضنا هذه؛ وذلك منطوق الحديث، ومن تأمل ألفاظ روايات الحديث اتضح له الأمر، وهو إجماع أهل الحديث والسنة.

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١١/ ٤٨-٤٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد خلق الله سبع أرضين بعضهن فوق بعض، كما ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>، وقد ذكر أبو بكر الأنباري الإجماع على ذلك، وأراد به إجماع أهل الحديث والسنة»<sup>(٢)</sup>.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي تعسف أحدهم في الاستدلال على أن مكة هي مركز اليابس من الأرض بقول رسول الله ﷺ عنها: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ»** (رواه الترمذي، وصححه الألباني). ولا علاقة واضحة بين الحديث، وبين ما استدل به عليه.

**\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي استدلال أحدهم على أثر عمر الأم على أطفالها بحديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟»، قَالَ «لَا». ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَا، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ».** (رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وصححه وولفقه الذهبي والألباني).

فقد استدل أحدهم بهذا الحديث فقال: «تزداد نسبة ميلاد أطفال البلاهة (Mongol)، كلما تقدمت سنّ الأم الحامل، بينما تكون نسبة حدوثه عند الأم التي تبلغ (٢٥) سنة (١: ١٥٠٠) تزداد نسبة حدوثه عند الأم التي تبلغ (٣٥) إلى (١): (٣٥٠) وترتفع هذه النسبة إذا بلغت أثر (٤٠) سنة إلى (١: ٣٠)، وصدق رسول الهدى محمد ﷺ إذ يقول: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ».

(١) حديث صحيح رواه الإمام أحمد بلفظ: «مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ». ورواه البخاري بلفظ: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ». ورواه مسلم بلفظ: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ طَوَّقَهُ فِي سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(٢) مجموع الفتاوى (٥٩٥/٦).

## تعقيب:

العلة لتزوّج الودود الولود، منصوصٌ عليها في الحديث، وهي تكثير المسلمين؛ لياهي بهم محمد ﷺ الأمم يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ؛ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (رواه البخاري ومسلم).

ولذا المقصود هو المرأة الولود، سواء كانت صغيرة أم كبيرة - وإن كانت للصغيرة مزية - وقد حث النبي ﷺ على تزوج الأبقار؛ وذلك لأن من فوائده كثرة الأولاد، حيث إن فترة إنجاب الصغيرة أطول من الكبيرة. ثم إنه إذا تزوج الصغيرة فإنها بعد مدة ستصبح كبيرة، فهل يقال لهما: توقفا عن الإنجاب!

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي استدلال أحدهم بهذا الحديث: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ نَسَمَةً، قَالَ مَلَكُ الْأَرْحَامِ مُعْرِضًا<sup>(١)</sup>: يَا رَبِّ، أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي اللَّهُ أَمْرَهُ. ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَقْضِي اللَّهُ أَمْرَهُ. ثُمَّ يَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَا هُوَ لَاقٍ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا» (رواه ابن حبان، وصححه الألباني). (النَّكْبَةُ يُنْكَبُهَا): المصيبة يصاب بها.

استدل أحدهم بهذا الحديث، فعرض صورةً لجنين يبلغ من العمر أربعة أشهر ونصف تقريباً، على جبينه خطوط تشبه بصمات الأصابع، ثم قال: «ألا ترى إلى هذا الكتابة المنقوشة، بدقة بارعة على جبينه، ووجهه إنها شعيرات دقيقة، مرسومة بمهارة فائقة، والغريب أنه لا يوجد اثنان على وجه الأرض، تتشابه فيهم هذه الكتابة، حتى ولو كنا نَوَّءَمِينَ». ثم ذكر الحديث.

(١) يقال: عَرَضَ لَهُ الْأَمْرُ، أي: خَطَرَ لَهُ.

## تعقيب:

هل هذه الخطوط هي كتابة الملك؟ الجواب بـ (لا) ممكن، والجواب بـ (نعم) ممكن. وكلاهما يفتقر إلى الدليل. إن الأسلوب العلمي يقتضي التأكد بدليل نقلي، أو عملي تجريبي، من أن هذه الخطوط على جبين الجنين، هي المعنية بهذا الحديث؛ لأن نص الحديث لا يفيد ذلك بالضرورة، فقد يكون المراد كتابة لا تُرى؛ لأن كتابة الملك غيب، ولا نعلم كيفيتها.



## من الأخطاء الاعتماد على الأحاديث الضعيفة

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي الاعتماد على الأحاديث الضعيفة ومحاولة التوفيق بينها وبين بعض الحقائق أو النظريات العلمية، مع أنه يجب على من أراد الاستدلال بالأحاديث النبوية، التأكد من ثبوتها، ولكن بعض الكتاب - هداهم الله - يأخذهم الحماس للدين، أو التكاثر والتهاون في الثبوت، فيقعون فيما ينعكس عليهم ويكون خلاف المراد، والله المستعان.

ومن أمثلة تلك الأخطاء المبنية على الاستدلال بالأحاديث الضعيفة:

### المثال الأول:

قول أحد الباحثين: «عندما خلق الله القارات بدأت في شكل قشرة صلبة رقيقة تطفو على مادة الصهير الصخري، فأخذت تتمد وتضطرب، فخلق الله الجبال البركانية التي كانت تخرج من تحت تلك القشرة، فترمي بالصخور خارج سطح الأرض، ثم تعود منجذبة إلى الأرض وتتراكم بعضها فوق بعض مكونة الجبال، وتضغط بأثقالها المتراكمة على الطبقة اللزجة فتغرس فيها جذراً من مادة الجبل، الذي يكون سبباً لثبات القشرة الأرضية واتزانها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (لقمان: ١٠) إشارة إلى الطريقة التي تكونت بها الجبال البركانية بإلقاء مادتها من باطن الأرض إلى الأعلى ثم عودتها لتستقر على سطح الأرض. ويجلي حديث الرسول ﷺ هذه الكيفية، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدٌ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا» الحديث.

فتأمل في قول النبي ﷺ المبيّن لكيفية خلق الجبال: «فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا»، أي أن خلقها كان بخروجها من الأرض وعودتها عليها. وهل شهد الرسول ﷺ خلق الأرض وهي تتمد؟ وتكوين الجبال البركانية عن طريق الإلقاء من باطن الأرض

وإعادتها عليها لتستقر الأرض؟ ألا يكفي ذلك دليلاً على أن هذا العلم وحي أنزله الله على رسوله النبي الأمي في الأمة الأمية، في العصر الذي كانت تغلب عليه الخرافة والأسطورة؟

وقال أيضاً: «هذه حقيقة كونية، لم يعرفها العلماء إلا في أواخر الأربعينات من هذا القرن، وقد تحدث عنها القرآن بإفاضة، وتحدث عنها الرسول ﷺ بإفاضة، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل دلالة قاطعة على أن القرآن كلام الله ﷻ، وعلى أن نبينا محمد ﷺ موصول بالوحي لا ينطق عن الهوى».

### تعقيب:

هذا الحديث لا يثبت، فقد أخرجه الترمذي، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ». ورواه الإمام أحمد في مسنده، وضعفه الألباني والأرنؤوط.

### المثال الثاني:

استدلال أحد الباحثين بحديث: «لَا يَرَكَبُ الْبَحْرَ إِلَّا حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا وَتَحْتَ النَّارِ بَحْرًا» على إنه إعجاز علمي للسنة، فقالوا إن العلم الحديث قد أثبت هذه الحقيقة التي أخبر بها الحديث، فقد أثبتت أجهزة التصوير العلمية الحديثة الدقيقة لتصوير أعماق البحار، أن في قيعان البحر العميقة ناراً ملتهبة.

واستدل بهذا الحديث باحث آخر على كروية الأرض، فقال: «وذكر رسول الله ﷺ أن الأرض كروية، وأن باطنها فيه نار، إذ قال لمن أراد السفر في البحر الأحمر: «لا تركب البحر...»، أي تحت البحر الأحمر، المائع الناري في جوف الأرض، ومن جهة ثانية بعد المائع الناري، يأتي المحيط الهادي، فلو مررنا خطأ مستقيماً عمودياً من البحر الأحمر، لاخترق الأرض من البحر الأحمر إلى المائع الناري، إلى المحيط الهادي، مما يثبت أيضاً أن الأرض كروية».

تعقيب:

أولاً: هذا الحديث ضعفه الألباني والأرنؤوط.

ثانياً: نلاحظ الاندفاع غير المنضبط في كلام الباحث الثاني، مما أدى به إلى القول على الرسول ﷺ وإليك بيان ذلك:

أ- أين ذكر الرسول ﷺ أن الأرض كروية، وأن باطنها فيه نار؟!  
كان الأولى أن يقول: يدل الحديث على كذا، أو يفهم منه كذا.

ب - عدم رجوعه إلى المصادر الأصلية، أدى به إلى أن يفهم أن النبي كان يخاطب شخصاً معيناً حاضراً؛ لأن اللفظ الذي أورده هو: «لا تركب» بضمير المخاطب، ولم أجد في سنن أبي داود ولا غيره، وإنما فيه لفظ: «لا يركب» بضمير الغائب. وهذا الخطأ جعله يخطئ في تعيين البحر، بأنه البحر الأحمر، ولو رجع إلى المصادر الأصلية، ووقف على اللفظ الوارد فيها، لما وقع فيما وقع فيه.

٣- وعلى فرض صحة كلامه، فهل تأكد من صحة الحديث ليني على ذلك ما أراد؟!!

٤- وحتى على فرض صحة الحديث، فإنه لا يدل على ما استدل به عليه؛ وذلك:

- أن الحديث يقول: «ناراً» وهو يقول: «مائع ناري».
- وأن وجود المائع الناري في جوف الأرض، يجعل البر والبحر يغطيان هذا المائع، فلو مررنا خطاً مستقيماً عمودياً من البر، في جهة من الأرض، ليخترقها ويمر بالمائع الناري، فيمكن أن يخرج إلى البر من الجهة الأخرى، ولو مررناه من البحر من هذه الجهة، فيمكن أن يخرج إلى البر من الجهة المقابلة، أو العكس، وحينئذ لا يكون لتنصيب الحديث على البحر فائدة.

أما كروية الأرض فأمرٌ مُجمَعٌ عليه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (١٥٠/٥).

### المثال الثالث:

استدلال أحد الباحثين بحديث: «أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءٌ مُظْلِمَةٌ» على ما اكتشفه الباحثون في عام ١٩٧٣م من أن في السماء نجومًا سوداء وأنها أشد حرارة من النجوم المشتعلة بلون أبيض، وأن النجوم البيضاء أشد حرارة من النجوم الحمراء التي تشتعل بلون أحمر.

وقالوا إن الباحثين قد عرفوا أن النار السوداء هي أشد أنواع الحرارة التي عُرِفَتْ حتى اليوم، ولقد أخبر الرسول ﷺ بهذا الحديث الذي يحمل هذه الحقيقة في وقت ما كان يتصور فيه أحد من البشر أن هناك نارًا سوداء على الإطلاق.

وقال باحث آخر: سُئِلَ رئيسُ أكبر وكالة فضاءٍ في العالم سؤالاً عن السديم، وعن كُتْلِهِ المتوهجة الحمراء والبيضاء والسوداء، فقال هذا العالم: «الشموس المشتعلة أنواع ثلاثة؛ شمسٌ مشتعلة باللون الأحمر كشمسنا، وهي في منتصفِ عمرها، وقد مضى على اتقادها خمسون مليار سنة، وستبقى خمسين مليار سنة أخرى، إنها في منتصفِ عمرها.

وهناك شمسٌ بعد أن تمرَّ بمرحلة الاحمرار يزداد حجمها زيادةً كبيرةً، ثم تنكمش انكماشاً عظيماً فجأةً، بواقع من مائة إلى واحدٍ من حجمها الأصلي، وعندئذ تصبح بيضاء اللون، وتُشعُّ نوراً أبيض، ولكنه أشدُّ حرارةً بكثيرٍ من اللون الأحمر، فالشمس التي يتغيَّر لونها من اللون الأحمر إلى اللون الأبيض حرارتها أشدُّ بكثيرٍ من حرارة الحمراء.

وبعد ذلك تمرُّ هذه الشمس في مرحلةٍ ثالثة، هي مرحلة التكدُّس، كما يتكدَّس المتر المكعب من الحديد بحجم ذرة، لا تُرى بالعين، ولا بالمجهر، ومعنى ذلك أن كثافة

هذه الشمس تصبح عالية جداً، ويصبح جذبها شديداً جداً، لدرجة أن النور لا يستطيع منها، ولا يخرج.

سمّاها العلماء الآن الثقوب السوداء، هذه لها قوة جذب مخيفة، فلو أن الأرض دخلت في دائرة جذبها لأصبحت بحجم بيضة مع وزنها نفسه. تصوّر الأرض بقاراتها الخمس، والبحار التي تكون ٧٢٪ من مساحة الأرض، هذه الكتلة الضخمة كلها لو جذبها ثقب أسود لأصبحت بحجم البيضة.

هذه مرحلة ثالثة، حيث لا يستطيع منها نور، وفيها قوة جذب مخيفة، وحرارتها لا توصف.

ماذا يكون موقفنا من السنة إذا مر بنا حديث شريف قد أتى بهذه الحقيقة قبل ألف وأربعمائة سنة؟ يقول عليه السلام فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمّرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضّت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهي سوداء مظلمة».

هذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، كيف عرف أن النار أوقد عليها ألف سنة حتى احمّرت؟

**تعقيب:** هذا الحديث ضعفه الألباني.

ولو قدر أنه صحيح فليست هذه النجوم هي نار جهنم.

نعوذ بالله من التكلف والقول على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ بغير علم.

#### المثال الرابع:

الاستدلال على الإعجاز الغيبي بقصة وعْد النبي ﷺ لسُرّاقة بن مالك رحمته الله بسواري كسرى، وأنه ﷺ قال لسُرّاقة: «كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟». فلما أتى عمر رحمته الله بسواري كسرى ومنطقه وتاجه دعا سُرّاقة بن مالك فألبسه إياهما، وقال له: «ارفع يدك»، فقال: «الله أكبر والحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز، وألبسهما سُرّاقة الأعرابي».

قال الباحث: فَمَنْ أَخْبَرَ مُحَمَّدًا بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْإِنْسَانَ الْهَارِبَ مِنَ الْقَتْلِ بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يَغْنَمُ أُمَّتَهُ كَنُوزِ كَسْرَى وَتَاجِهِ وَيَلْبِسُهَا سَرَاكَةَ الْأَعْرَابِيِّ.

تعقيب: هذه القصة لا تثبت <sup>(١)</sup> رغم شهرتها في كتب السيرة <sup>(٢)</sup>.

### المثال الخامس:

استدلال أحد الباحثين على الهدى النبوي في مباشرة النساء بحديث: «لَا يَقَعَنَّ أَحَدُكُمْ عَلَى امْرَأَتِهِ كَمَا نَقَعُ الْبَهِيمَةُ؛ وَلِيَكُنْ بَيْنَهُمَا رَسُولٌ». قيل: «وما الرسولُ؟». قال: «الْقُبْلَةُ وَالْكَلَامُ». وربط الباحث بين ذلك والدراسات الحديثة فقال:

«قد قالت دراسة علمية حديثة إن القُبْلَةَ ليست مجرد بادرة رومانسية بين الأزواج، بل هي مؤشر بيولوجي أساسي تتعلق بالانجذاب الجنسي، وهي تثير تفاعلات واسعة بين مجموعة كبيرة من الهرمونات التي قد تؤدي إلى نجاح العلاقة أو فشلها بعد القُبْلَةِ الأولى.

وتفترض الدراسة أن القُبْلَةَ مسؤولة عن نقل مذاق وروائح وأصوات معينة، تساعد على بناء انطباع الشركاء حيال بعضهم البعض، كاشفة أن الأبحاث تشير إلى أن النساء ينجذبن إلى الرجال من أصحاب أجهزة المناعة ذات التركيبة المختلفة عن أجهزتهن، وأن اكتشاف ذلك يتم من خلال القُبْل!

وتشير إحصائية عمل عليها الدكتور "جوردون جالوب"، أستاذ علم النفس في جامعة "ألبارني" الأمريكية أن ٥٩ في المائة من الرجال و٦٦ في المائة من السيدات كشفن أن انجذابهم نحو شركائهم انتهى بعد القُبْلَةِ الأولى. وتُظهر أرقام "جالوب" أيضًا إلى أن القُبْلَةَ لها أهمية كبيرة لدى النساء، تفوق مكانتها لدى الرجال، كما تشير البيانات إلى أن نسبة النساء اللواتي قُلْنَ إن القُبْلَةَ مقدمة أساسية للجماع يفوق بكثير نسبة الرجال من

(١) أما أصل القصة وهي لحاق سراقَة ﷺ بالرسول ﷺ والصديق فهي ثابتة رواها البخاري، ومسلم.

(٢) انظر: "ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية" للدكتور محمد بن عبد الله العوشن، (ص: ٨٥).

أصحاب الرأي عينه!!

وتؤكد الدكتورة "هيلين فيشر"، أن أبحاثها تشير إلى وجود ثلاثة أنظمة مؤثرة على عمل الدماغ في عملية الحب، وهي نظام الجنس والنظام الرومانسي ونظام الارتباط. حيث أن النظام الجنسي يدفعنا إلى البحث عن شركاء للتكاثر، في حين يدفعنا النظام الرومانسي إلى الاكتفاء بشريك واحد، أما نظام الارتباط، فهو المسؤول عن قدرتنا على "تحمل" هذا الشريك طوال الفترة الكافية لحصول التكاثر.

إن القبة تقوم بتحفيز هذه النظم الثلاث بشكل متزامن، وهذا يؤكد أن القبة هي المحك الحقيقي لإمكانية نجاح العلاقة أو فشلها. وربطت الطيبة الأمريكية الأمر بارتباط القبة بمنطقة دماغية تدعى Somatosensory Cortex وتمتد من أقصى الدماغ إلى أقصاه، ما يجعلها قادرة على الاتصال بالحواس الخمس، وتلقي إشارات من الفم والشفاه واللسان والأنف والخصيتين.

ومن هنا نفهم أكثر لماذا أمر النبي ﷺ الأزواج بممارسة القبة قبل إتيان زوجاتهم، لأن ممارسة الجنس لا تعني مجرد الاستمتاع وتحقيق شهوات ورغبات في نفس الزوجين، إنما هي عملية منظمة ولها هدف وفائدة.

#### تعقيب:

هذا الحديث ضعّفه الألباني في "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة" (١٣ / ١٧٩) برقم ٦٠٧٥.

#### المثال السادس:

الاستدلال بالحديث الموضوع الذي فيه أن رسول الله ﷺ كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء<sup>(١)</sup>. والزرع بأن هذا ما توصل إليه العلم بعد ١٤٢٠ عامًا، وذلك عن طريق المناظير الليلية التي ترى بالليل، ورغم ذلك فإن الرسول ﷺ

(١) هذا الحديث رواه ابن عدي والبيهقي في (دلائل النبوة) وقال الألباني: «موضوع».

يتفوق بصريا على هذه المناظير، لأنه كان يرى بالليل بكل وضوح كرؤيتنا نحن بالنهار، أما المناظير الليلية المصنوعة الآن فإنها لا ترى بالليل بشكل واضح، فأكثر هذه المناظير تكون فيها الرؤيا ذات لون واحد، أخضر أو أحمر مثلاً.

### المثال السابع:

الاستدلال بالحديث الضعيف الذي فيه أن الله ﷻ قال: «أَبُتُّ الْعِلْمَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حَتَّى يَعْلَمَهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِمْ، أَخَذْتُهُمْ بِحَقِّي عَلَيْهِمْ»، والزعم أن في هذا الحديث إخباراً عن وجود الراديو في آخر الزمان.

ولو أنه استدل به على وجود المطابع وكثرتها في جميع أنحاء الأرض، وانتشار الكتب المطبوعة في شتى العلوم، وانتشار التعليم في المدن والقرى لكان أقرب إلى مطابقة ما جاء في الحديث. ولكن الحديث لا يثبت، ويغني عنه قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ... طُهُورَ الْقَلَمِ» (رواه الإمام أحمد في المُسْنَدِ، وقال الأرئؤوط: إسناده حسن). وقد تقدم في الفصل الرابع "الإعجاز الغيبي".

### المثال الثامن:

ادعاء أن النبي ﷺ قد أخبر بوجود آلة التصوير والاستدلال لذلك بما جاء في حديث: «من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة - فذكرها ومنها - وحُلِيت المصاحف وصُوِّرت المساجد وطُوِّلت المنابر» وهذا الحديث قد رواه أبو نعيم في "الحلية" وهو حديث ضعيف.

وحيث كان الحديث ضعيفاً فلا ينبغي الجزم بأن النبي ﷺ أخبر بما جاء فيه، ولو كان الحديث صحيحاً لكان له وجه غير ما ذكره وهو زخرفة المساجد.

وقد كان التصوير بالأيدي موجوداً بكثرة قبل أن توجد آلة التصوير.

### المثال التاسع:

القول بأن المظاهرات بدل الغزو والجهاد قد ذكرها النبي ﷺ، واستدل بهذا الحديث الضعيف: «ثَلَاثُ إِذَا رَأَيْتَهُنَّ فَعِنْدَكَ عِنْدَكَ: إِخْرَابُ الْعَامِرِ، وَإِعْمَارُ الْخَرَابِ،



وَأَنْ يَكُونَ الْغَزْوُ رِفْدًا، وَأَنْ يَتَمَرَّسَ الرَّجُلُ بِأَمَانَتِهِ تَمَرَّسَ الْبَعِيرُ بِالشَّجَرَةِ» (رواه الطبراني في "المعجم الكبير" بإسناد ضعيف). ورواه ابن أبي عاصم في "الجهاد" بلفظ: "وَأَنْ يَكُونَ الْغَزْوُ فِدَاءً"، وهو تصحيف، وإسناده ضعيف أيضًا. وقد رواه البغوي وابن عساكر بلفظ: «إن من أشراط الساعة إخراب العامر، وإعمار الخراب، وأن يكون الغزو فداءً، وأن يتمرس الرجل بأمانته كما يتمرس البعير بالشجرة». وإسناده ضعيف أيضًا.

### معنى الحديث:

(وَأَنْ يَكُونَ الْغَزْوُ رِفْدًا): أى أن خراج الغزو يوزع حسب الهوى والقربات بأن يميّز قومًا دون غيرهم لا حسب الاستحقاق. وقيل: المراد بالرغد في الغزو: الإعانة عليه بالاستئجار وبذل العطاء. (يَتَمَرَّسُ الرَّجُلُ بِأَمَانَتِهِ تَمَرَّسَ الْبَعِيرُ بِالشَّجَرَةِ): أى يتلعب ويتعبّث بها كما يتحكك البعير بالشجرة ويتعبّث بها. وقيل: أراد أن يمارس الفتن ويشادها فيفر بدينه، ولا ينفعه غلوه فيه، كما أن الأجر إذا تحكك في الشجرة أذمته ولم تبرئه من جربه. (البعير): ما صلح للركوب والحمل من الإبل، وذلك إذا استكمل أربع سنوات، ويقال للجمل والناقة. (الأشراط): العلامات.

وفي الحديث تم تصحيف عبارة "وَأَنْ يَكُونَ الْغَزْوُ فِدَاءً" إلى "وَأَنْ يَكُونَ الْغَزْوُ نِدَاءً". ومع الضعف وبعد التصحيف قال الباحث: إن النداء هو رفع أصوات المتظاهرين: يحيا فلان أو يسقط فلان أو يكون كذا وكذا. وهم يعدّون هذه النداءات بأعلى أصواتهم مع تظاهراتهم غزوًا وجهادًا أو أعظم من الغزو والجهاد.

### المثال العاشر:

استدلال أحدهم على كروية الأرض بحديث لا أصل له، وهو أن رسول الله ﷺ سئل: «هذه المغارب أين تغرب، وهذه المطالع من أين تطلع؟»، فقال: «هي على رسلها، لا تبرح ولا تزول، تغرب عن قوم، وتطلع على قوم، تغرب عن قوم، وتطلع على قوم، فقوم يقولون: غربت، وقوم يقولون: طلعت».

لقد استدل بهذا الحديث الذي لا أصل له على كروية الأرض، فقال: «فلو كانت مسطحة لقال: تطلع وتغرب على جميع سكان الأرض، في زمن واحد».

أما كروية الأرض فأمر مُجمَعٌ عليه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (١٥٠/٥).

### المثال الحادي عشر:

استدل أحدهم على ما أثبتته العلم الحديث من الجهات بالنسبة للأجرام السماوية، بهذا الحديث الضعيف:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ وَأَصْحَابُهُ إِذْ أَتَى عَلَيْهِمْ سَحَابٌ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟». فَقَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». قَالَ: «هَذَا الْعَنَانُ، هَذِهِ رَوَايَا الْأَرْضِ يَسُوقُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْكُرُونَهُ وَلَا يَدْعُونَهُ». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَكُمْ؟». قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». قَالَ: «فَإِنَّهَا الرِّقِيعُ سَقْفٌ مَحْفُوظٌ وَمَوْجٌ مَكْفُوفٌ». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا؟». قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». قَالَ: «بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟». قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». قَالَ: «فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ سَمَاءَيْنِ وَمَا بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ». حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟». قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». قَالَ: «فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ بَعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ».

ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْتَكُمْ؟». قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». قَالَ: «فَإِنَّهَا الْأَرْضُ». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْتَ ذَلِكَ؟». قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». قَالَ: «فَإِنَّ تَحْتَهَا الْأَرْضُ الْأُخْرَى بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ». حَتَّى عَدَّ سَبْعَ أَرْضِينَ بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّكُمْ دَلَيْتُمْ رَجُلًا بِحَبْلِ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى لَهَبَطَ عَلَى اللَّهِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد: ٣). (رواه الترمذي، وضعفه الألباني).

استدل به أحدهم فقال: "ويؤخذ من قوله ﷺ بسياق مكان الأرضين، بقوله: «تحتكم» أنه يمثل بذلك الحقيقة التي أدركها العلم الحديث، من أن مَنْ كان في أعلى الأجرام السماوية، في المجموعة الشمسية، أنه يرى أرضنا من فوقه، فقوله ﷺ لا

يتناقض مع أي محسوس في هذا الوجود، سواء كان في الأرض، أو في السماء، وسواء كان في صريح منطوق الرسول ﷺ أو في مفهومه، لأنه قد أوتي جوامع الكلم ﷺ.

### تعقيب:

الحديث لا يثبت، وعلى فرض صحة الحديث، فلا علاقة لقول النبي ﷺ بما استدل عليه.

### المثال الثاني عشر:

الاستدلال على أثر زواج الأقارب الوراثي بحديث: «اغتربوا ولا تضووا». وبحديث: «لا تنكحوا القرابة، فإن الولد يخلق ضاويًا». والحديثان لا أصل لهما.

(اغتربوا) أي تزوجوا الغرائب، (لا تضووا): تأتوا بأولاد ضاوين مهazيل وكان عندهم أن ابن الرجل من ابنة عمه، يكون صغيرًا ضعيفًا، وإذا كانت غريبة، كان أقوى لولدها وأطول.

استدل بعضهم بهذين الحديثين على أنهما يتفقان مع ما كشفه علم الوراثة، من أن زواج الأقارب، يؤدي إلى أمراض وأضرار تصيب النسل. واستدل عدد كبير من الأطباء، والكتاب بهذين الحديثين على اتفاق كلام النبي ﷺ مع ما كشفه علم الوراثة، من أن زواج الأقارب، يؤدي إلى أمراض وأضرار تصيب النسل.

فبعضهم أجمل الكلام فقال: «إن زواج الأقارب يؤدي إلى هزال الذرية وضعفهم»، وبعضهم فصل فقال إن الجنين، يتكون من اندماج الحيوان المنوي - وهو يحمل (٢٣) كروموسومًا - مع البويضة - وهي تحمل العدد نفسه من الكروموسومات، وهذه الكروموسومات تحمل عددًا هائلًا من الصفات الوراثية.

وهذه الصفات الوراثية تنقسم إلى: صفات سائدة: أي قادرة على الظهور على الجنين، أو صفات متنحية: أي ضعيفة لا تظهر بمفردها على الجنين، إلا إذا تقابل اثنان منهما، وبما أن الصفات الوراثية قد تكون سائدة، وقد تكون متنحية، فإن الصفات المتنحية لا تكون ظاهرة، لا في الأب، ولا في الأم، فإذا اتفق وكان الأب والأم كلاهما

يحملان إحدى هذه الصفات المتنحية؛ فإن ربع أولادهم - تقريباً - ستظهر فيهم هذه الصفة المتنحية، بصورة واضحة جلية، وذلك لاجتماع الصفتين في كليهما.

وهذا ما يجعل الزواج بين الأقارب يُظهر الصفات والأمراض المتنحية، التي كانت مخفية، إذ إن كلا من الأب والأم المتقاربين في النسب، يحملان كثيراً من الصفات المشتركة والمتنحية - بحيث إنها لا تظهر عليهم - ولذا إذا اقترنا بالزواج، فإن احتمال ظهور هذه الصفات المتنحية، يصبح كبيراً جداً.

ومثلاً، فإن بعض الأمراض الوراثية، النادرة في المجتمع، يكون احتمال ظهورها في الزوجين البعيدي النسب، لا تزيد عن واحد في الألف، بينما يرتفع احتمال ظهور ذلك المرض الوراثي النادر إلى (٣٥٪)، عندما يكون الزوجان أولاد عم أو خال، أو عمة أو خالة.

والأمراض الوراثية المتنحية كثيرة جداً، منها الأمراض التي بها خلل في الأيض (الاستقلاب) مثل مرض ويلسون، ومرض تيساك، والبرص الوراثي، والبول الأسود، وعددها يزيد عن مائة مرض معروف لدى الأطباء المختصين.

ولذا فإن الأمراض الوراثية، وخاصة منها ذات الصفات المتنحية، إنما تظهر بصورة جلية وبنسبة أكبر، عند زواج الأقارب.

وذكروا قاعدتين لعلم الوراثة وهما:

الأولى: إذا تباعد مصدر المورثات في التزاوج، قوي التناج، وقد أُسْتُنبِطَت هذه القاعدة، من نتائج تجارب التزاوج بين الحيوانات، وكذلك من تجارب تلقيح النبات.

الثانية: إذا حمل كل من الأب والأم نفس المورث المعيب، سمح هذا للمرض الوراثي المسود أن يظهر في التناج، باحتمال واحد من أربعة في كل مناسبة، واحتمال أن يحمل كل من الأب والأم نفس المورث المعيب، يتزايد كلما قربت درجة القرابة بينهما.

وذكروا أنه - في دراسات متعددة، سبق أن أجريت في دولة الكويت - تبين أن نسبة حدوث الولادات المبكرة، أعلى في زيجات الأقارب (9.89٪) عنها في زيجات

الأبعاد (٤٦, ٧ ٪)، ومتوسط وزن المولود في زيجات الأقارب (3274) جم، أقل من متوسط الوزن في زيجات الأبعاد (٣٣٢٦) جم.

ونسبة حدوث بعض الأمراض الوراثية، في زيجات الأقارب، أعلى منها في زيجات الأبعاد، وكان أهم هذه الأمراض - من ناحية الأهمية العلمية - هو نوع الضعف العقلي المسمى (الطفل المنغولي)، حيث كان هناك (١٤) حالة بين (٣٩٨٩) زوجة بين الأقارب، أي نسبة (٥, ٣/ ألف) في مقابل (٦) حالات بين (٧٤٣٦) زوجة بين زيجات الأبعاد، أي نسبة (٨, ٠ / ألف).

والجدید في هذا البحث، أن مرض (الطفل المنغولي) ينتج عن خلل في انقسام الصبغيات، والاستنتاج العلمي هنا أن هذه الحالة تتأثر بمورث مسود، وعلى ذلك يزيد حدوثها بين زيجات الأقارب.

ونقلوا عن جريدة الأهرام: أن الدكتور/ فؤاد الشربيني قام بدراسة جاء فيها: أن زواج الأقارب تسبب في إصابة الأطفال باضطرابات أجهزة المناعة والحساسية، التي تُضعف مقاومة الأطفال للميكروبات، ومن أهم الأمراض: (أنيميا البحر المتوسط)، وهو نوع من النقص في الهيموجلوبين (فقر الدم)، ومرض السكري، والنقرس، والاضطرابات الكيماوية، وضعف الإبصار، وهذه من الأمراض التي تظهر في الجيل الثاني مباشرة، ولقد بلغت نسبة ضعف الإبصار بالوراثة إلى (٥٠ ٪) من مجموع حالات ضعف الأبصار، ويكون للأطفال بالوراثة استعداد لمرض القلب، والربو الشعبي، والصرع، والصمم، ولا يشترط أن يكون أحد الأبوين مصابًا، ولكن تكفي قرابتهما لينال الطفل ما كان عند الجدود.

ومن الدراسات التي قام بها معهد الصحة العالي، دراسة جاء مفادها: أن حالات تسمم الحمل، ووفيات أطفال المهد والرضع، تتضاعف في زواج الأقارب عن غيره.

## تعقيب:

لعل من يسمع هذا التهويل، في أضرار زواج الأقارب، يقول وداعاً يا زواج الأقارب، لا لقاء بعده، ولكن ليس كل ما قالوه صحيح:

**أولاً:** إن النصوص التي دعموا بها آراءهم في زواج الأقارب ليس لها أصل، ولا تصح، بل إن النصوص الشرعية الصحيحة على عكس هذا الذي ذهبوا إليه، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّاتِ أَتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ (الأحزاب: ٥٠).

وكذلك فعل النبي ﷺ، فقد تزوج من أقربائه، وزوج بناته لأقربائه، ثم لو كان في زواج الأقارب ضرر، لبيّنه النبي ﷺ.

**ثانياً:** إن ما ذكره من أضرار وأمراض، ناتجة عن زواج الأقارب؛ لم يسلم بها عدد من أقرانهم من الأطباء.

فقد قدم الدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم، والدكتور/ محمد كمال نجيب، والدكتورة/ صديقة علي العوضي، بحثاً بعنوان: "زواج الأقارب ما له وما عليه" إلى "المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي عن الشريعة الإسلامية، والقضايا الطبية المعاصرة"، والذي عقد في القاهرة عام ١٩٨٧م، بالتعاون بين الأزهر وكلية الطب بجامعة عين شمس. وقد جاء فيه أننا إذا نظرنا إلى زواج الأقارب، من الناحية الوراثية البحتة، نجد أن زواج الأقارب، في حد ذاته، لا يعتبر العامل المؤثر على صحة الإنسان، ولكنه يلعب مثل دور مفتش المباحث في إظهار الجريمة، فدور زواج الأقارب هو تجميع الجينات المريضة الموجودة في أفراد الأسرة، وإظهار تأثيرها في الجيل الذي ينتج عن هذا النوع من الزواج.

ونظراً لما لزواج الأقارب من أهمية علمية، فقد قام مركز الأمراض الوراثية بالكويت، بعمل بحثين عنه:

**البحث الأول:** تحديد حجم مشكلة زواج الأقارب في دولة الكويت، وتأثير هذا النوع من الزيجات، على الإجهاض، وموت الجنين، سواء كان قبل الولادة مباشرة أو بعدها، وأسفر البحث عن الآتي:

أولاً: من بين (٥٠٠٧) أسرة كويتية شملها البحث، من مختلف مناطق الكويت، ومثلة للأسرة الكويتية تمثيلاً إحصائياً، كانت نسبة زواج الأقارب (٥٤٪)، منهم (٥, ٣٠٪) أولاد عمومة وما شابهها.

ثانياً: بين البحث وجود زيادة طفيفة في نسبة موت الأطفال، خلال الأسبوع الأول والشهر الأول، الناتجين عن زواج الأقارب (٢, ١٤٪، ٩٧, ٢٪ تبعاً)، عن نسبة موت الأطفال في خلال هذا العمر الناتجين من زواج الأبعد (٩٧, ١٣٪، ٥٤, ٢٪)، إلا أننا نلاحظ أن الفرق غير ذي مدلول إحصائي.

ثالثاً: لا يوجد نمط محدد في زيادة الإجهاض، ونزول الأجنة ميتة، كلما ازدادت درجة القرابة، وكان الاستنتاج من هذا البحث هو: أنه لا يوجد نمط في الزيادة في الإجهاض وموت الجنين، كلما ازدادت درجة القرابة.

**أما البحث الثاني** فكان عن نسب الخلل الكروموسومي، بأطفال الأزواج الأقارب بعد إعلان كثير من الدوائر، بوجود علاقة بين زواج الأقارب والخلل في الصبغيات.

وافترض هذا الفرض، اعتماداً على وجود أكثر من فرد، في العائلة الواحدة يعاني من خلل كروموسومي، ولقد عزى السبب إلى وجود جين متنح، بسبب عدم انفصال الصبغيات أثناء الانقسام، وأن هذا الجين يظهر تأثيره في زواج الأقارب، الذي يؤدي إلى وجود هذا الجين، بجرعة مزدوجة، في الذرية الناتجة عن زيجات الأقارب.

فتم اختيار عشوائي لمائة أسرة، تبين بالتحليل (السيولوجي)، أن أحد أفرادها يعاني من خلل الصبغيات، وقام المركز بالتحليل الإحصائي لهذه العينة، وبالمقابل تم اختيار مائة أسرة أخرى، اختياراً إحصائياً كعينة مقارنة، وتم التوصل إلى الآتي:

أولاً: أن نسبة زواج الأقارب بين المرضى هي ٤٦٪، وفي العينة المقارنة ٣٤٪. ثانياً: أنه لا يوجد فرق ذو مدلول إحصائي في الإجهاض، أو ولادة الجنين ميتاً، في العينة الناتجة من زواج الأقارب، عنها في العينة الناجمة من زواج الأبعد. ثالثاً: يوجد فرق إحصائي بين عمر الأم، في العينة الناجمة من زواج الأقارب، والتي نجمت من زواج الأبعد، وهذا الفارق يرجعه كثير من العلماء على أنه المسبب في خلل الصبغيات.

رابعاً: قام الباحث بتحليل هذه النتائج، بطرق إحصائية عديدة، مفترضاً أن زواج الأقارب له تأثير في الخلل الصبغي، لكن كانت النتائج ترفض هذا الافتراض. من هذا استنتج الباحث عدم وجود مثل هذا الجين، وبالتالي فإن زواج الأقارب لا يلعب دوراً هاماً في مثل هذه الأمراض، وإذا كان له دور، فإن هذا الدور ليس عن طريق وجود جين متنح، وتتفق هذه النتائج مع النتائج التي توصل لها بعض العلماء مثل:

“ Kwiterovich et al (1966), Matsunaga (1966), Forssman and akesson (1967), Stene (1977) and Juberg & Daois (1978) ” .

وهنا تجدر الإشارة إلى أهمية مدة ممارسة زواج الأقارب في المجتمع، وهل هي ظاهرة تاريخية قديمة، واسعة الانتشار، أو قريبة العهد قليلة الحدوث؟ وإذا كانت هذه العادة قائمة من قديم الزمان، فإن زواج الأقارب لابد أنه أفضى - من زمن بعيد - إلى إظهار الأمراض، وهي كثيراً ما تكون قاتلة، بمعنى أنه خلص المجتمع فعلاً من مورثين مرضيين، ونقاه بمرور الزمان من الجينات المرضية، أما إذا كان زواج الأقارب، ممنوعاً في المجتمع أو نادراً، فإن هذا المنع سوف يؤدي إلى بقاء كثير من الأفراد، يحملون المورثات المرضية، وبالتالي فإن فرصة احتمال تزاوج شخصين غير أقرباء، يحملان المورثات المرضية لمرض معين، تكون كبيرة، ومن ثم ظهور هذا المرض في هذه المجتمعات، وخير مثال على ذلك مرض Cystic Fibrosis Of Pancreas، وهذا المرض محكوم بمورث متنح، منتشر في بريطانيا، رغم ندرة زواج الأقارب فيها، ويرجع



ذلك إلى وجود نسبة عالية من حاملي المرض، مما يؤدي إلى زيادة فرصة تزاوج حاملي هذا المرض، وبالتالي ظهوره بين ذريتهم.

مما سبق يتضح أن المنع والإباحة، لن يمتنع ظهور الأمراض الوراثية منعاً مطلقاً، والتي تتحكم فيها الجينات المرصية المتنحية، شرط وجود هذه الجينات في المجتمع، أي: العملية هي توضحية جيل محل جيل آخر، فإذا لم يوجد زواج الأقارب، فإن الأجيال القادمة هي التي سوف تعاني من هذه الأمراض، أما إذا كان هذا النوع من الزيجات موجوداً، فإن الأجيال الأولى هي التي سوف تعاني، من أجل نقاء الأجيال القادمة، وكأن الله تعالى أراد بهذه الإباحة المتحفظة، أن يعمل على الاتزان الطبيعي، فالإباحة الكاملة تؤدي في النهاية إلى ظهور الأمراض، أما الوسط فهو يساعد على الاتزان الطبيعي.

وهذا البحث الذي قدموه من الأهمية بمكان، وذلك لأنه من الأبحاث الحديثة، ولأنه قد طرح في مؤتمر دولي، وهذه المؤتمرات لا تُقبل فيها الأبحاث، إلا بعد المرور على لجان متخصصة في نقد الأبحاث وتقويمها.

كما أنه موافق لرأي الدكتور/ أحمد الكباريتي - وهو أستاذ علم الوراثة بجامعة الكويت سابقاً - فقد نشرت جريدة المسلمون في العدد (٨٢) بتاريخ ٢٥/ذي الحجة/١٤٠٦هـ) مقالاً بعنوان: "زواج الأقارب بين العلم والدين" للدكتور أحمد السالوس، قال فيه: «قد دعيت إلى الاشتراك في ندوة، موضوعها: "زواج الأقارب بين العلم والدين"، وأسند بيان الجانب العلمي للدكتور/ أحمد الكباريتي - أستاذ علم الوراثة بجامعة الكويت آنذاك - وكان عليّ أن أتحدث في الجانب الديني، وقبل أن أبين النتيجة التي انتهيت إليها، أذكر أولاً ما وصل إليه الدكتور/ الكباريتي:

تناول الدكتور/ الكباريتي الجانب العلمي في الموضوع، حيث قلب الشائع الذي يقول بأن زواج الأقارب يسبب الأمراض الوراثية، وقال: «إن هذا اعتقاد خاطئ، ودلل على ذلك بنظريات حديثة تؤكد ذلك، وقال: إنه نتيجة للبحث العلمي، في مجتمع ينتشر فيه زواج الأقارب، وآخر يكثر فيه زواج الأبعد، وثالث يكثر فيه الزواج بين

أجناس مختلفة، ثبت عدم وجود أي فرق بين هذه المجتمعات، من حيث انتشار الأمراض الوراثية، هذه خلاصة ما ذكره أستاذ علم الوراثة».

ثم قال الدكتور/ السالوس: «وعندما قمت بدراستي للموضوع، انتهيت إلى نتيجة لا تتعارض مع النتيجة السابقة، على الرغم مما شاع قديماً وحديثاً، من أن زواج الأقارب يأتي بنسل ضعيف».

وذكر أن النبي ﷺ زوّج وتزوَّج من أقاربه، فكيف ينهى عن شيء، ويفعله هو نفسه ﷺ وهو ليس من خصوصياته؟!!

ثم نقل عن ابن حزم رحمه الله أنه قال: «وإنما تَحَيَّرْنَا نِكَاحَ الْأَقَارِبِ، لِأَنَّهُ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يُنْكَحْ بَنَاتُهُ إِلَّا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) (١).

## من الأخطاء التكلف فيما يسمونه الإعجاز العددي

\* ومن الأخطاء في الإعجاز العلمي التكلف فيما يسمونه الإعجاز العددي، وقد شُغِف به كثير من الناس فنشروا في الصحف والمجلات وشبكات الإنترنت قوائم بألفاظ تكررت مرات تتناسب مع لفظها، أو تساوى عددها مع ما يضادها، كما زعموا في تكرار لفظة "يوم" (٣٦٥) مرة، ولفظ "شهر" (١٢) مرة، وهكذا فعلوا في ألفاظ أخرى نحو "الملائكة والشياطين" و"الدنيا والآخرة" إلخ.

وقد ظنَّ كثيرٌ من الناس صحة هذه التكرارات وظنوا أن هذا من إعجاز القرآن، ولم يفرقوا بين "اللطيفة" و"الإعجاز"، فتأليف كتابٍ يحتوي على عدد معيَّن من ألفاظٍ معيَّنة أمرٌ يستطيعه كل أحدٍ، فأين الإعجاز في هذا؟

والإعجاز الذي في كتاب الله ﷻ ليس هو مثل هذه اللطائف، بل هو أمر أعمق وأجلّ من هذا بكثير، وهو الذي أعجز فصحاء العرب وبلغاءهم أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سورٍ مثله أو بسورة واحدة، وليس مثل هذه اللطائف التي يمكن لأي كاتب أن يفعلها - بل وأكثر منها - في كتاب يؤلفه، فليُتَبَّه لهذا.

إن التوافقات العددية في القرآن الكريم ليست من الإعجاز، ويمكن أن نطلق عليها مصطلح الظاهرة العددية في القرآن الكريم، فهي ظواهر عددية في القرآن الكريم، وليست أمرًا معجزًا يُدرج ضمن بحوث الإعجاز، وعليه فيجب أن يفرق بين الظاهرة العددية في القرآن وبين الإعجاز العددي فيه.

وقد جرَّ هذا الفعل بعض أولئك إلى ما هو أكثر من مجرد الإحصائيات، فراح بعضهم يحدد بتلك الأرقام "زوال دولة إسرائيل" وتعدى آخر إلى "تحديد يوم القيامة"، ومن آخر ما افتروه على كتاب الله تعالى ما نشره من أن القرآن فيه إشارة إلى "تفجيرات أبراج نيويورك"! من خلال رقم آية التوبة وسورتها وجزئها، وكل ذلك من العبث في كتاب الله تعالى، والذي كان سببه الجهل بحقيقة إعجاز كتاب الله تعالى.

وبالتدقيق في إحصائيات أولئك الذين نشروا تلك الأرقام وُجد أنهم لم يصيبوا في عدّهم لبعض الألفاظ، ووُجِدَت الانتقائية من بعضهم في عدّ الكلمة بالطريقة التي يهواها، وكل هذا من أجل أن يصلوا إلى أمرٍ أرادوه وظنّوه في كتاب الله تعالى.

وقد قدّم الدكتور "أشرف عبد الرزاق قطنة" دراسة نقدية على الإعجاز العددي في القرآن الكريم، وأخرجه في كتاب بعنوان: "رسم المصحف والإعجاز العددي، دراسة نقدية في كتب الإعجاز العددي في القرآن الكريم" وخلص في خاتمة الكتاب الذي استعرض فيه ثلاثة كتب هي: (١) كتاب "إعجاز الرقم ١٩" لمؤلفه باسم جرار، (٢) كتاب "الإعجاز العددي في القرآن" لعبد الرزاق نوفل، (٣) كتاب "المعجزة" لمؤلفه عدنان الرفاعي، وخلص المؤلف إلى نتيجة عبّر عنها بقوله:

«وصلتُ بنتيجة دراستي إلى أن فكرة الإعجاز العددي "كما عرضتها هذه الكتب" غير صحيحة على الإطلاق، وأن هذه الكتب تقوم باعتماد شروط توجيهية حيناً وانتقائية حيناً آخر، من أجل إثبات صحة وجهة نظر بشكل يسوق القارئ إلى النتائج المحددة سلفاً، وقد أدت هذه الشروط التوجيهية أحياناً إلى الخروج على ما هو ثابت بإجماع الأمة، كمخالفة الرسم العثماني للمصاحف، وهذا ما لا يجوز أبداً، وإلى اعتماد رسم بعض الكلمات كما وردت في أحد المصاحف دون الأخذ بعين الاعتبار رسمها في المصاحف الأخرى، وأدت كذلك إلى مخالفة مبادئ اللغة العربية من حيث تحديد مرادفات الكلمات وأضدادها»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الدكتور فهد الرومي أمثله على اختيار الدكتور عبد الرزاق نوفل الانتقائي للكلمات حتى يستقيم له التوازن العددي، ومن ذلك قوله: إن لفظ اليوم ورد في القرآن (٣٦٥) مرة بعدد أيام السنة، وقد جمع لإثبات هذا لفظي "اليوم"، "يوماً"

(١) رسم المصحف والإعجاز العددي، دراسة نقدية في كتب الإعجاز العددي في القرآن الكريم، (ص ١٩٧).

وترك "يومكم" و "يومهم" و "يومئذ"؛ لأنه لو فعل لاختلف الحساب عليه! وكذلك الحال في لفظ "الاستعاذة" من الشيطان ذكر أنه تكرر (١١) مرة، يدخلون في الإحصاء كلمتي "أعوذ" و "فاستعذ" دون "عذت" و "يعوذون" و "أعيذها" و "معاذ الله" <sup>(١)</sup>.

وبعض الدراسات التي يتوصل لها بعض الباحثين ليست ذات قيمة علمية، أي أنها ليست ذات معنى علمي مفيد، بل هي عبثٌ يُنزه عنه كلامُ الله ﷻ، وتصاب الدراسات المتعلقة به عن مثله، وهاك مثالاً ذكره أحد أشهر المهتمين بالدراسات العددية في القرآن الكريم حيث يقول: «إنَّ سورة النمل تُستهلّ بـ (طس) وقد لفت انتباهنا أنَّ حرف الطاء يتكرر في السورة ٢٧ مرّة، وهذا هو ترتيب سورة النمل في المصحف، وأنَّ تكرار حرف السين في سورة النمل هو ٩٣ وهذا هو عدد آيات السورة، وأنَّ المجموع هو: (٩٣ + ٢٧) = ١٢٠ وهذا هو جُمْل (٢) كلمة (نمل)» أ. ه كلامه.

فهذا المثال على فرض التسليم بصحة ما تضمنه من أرقام وحساب، فإن المحصلة النهائية له ليست ذات قيمة علمية أو عملية، فضلاً عن أنها ليست أمراً معجزاً في ذاتها، فأين هذا من وصف ربنا جل وعلا لكتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩).

(١) انظر: "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" (٢ / ٦٩٩، ٧٠٠) بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.

(٢) انظر الكلام عن حساب الجُمَّل في الصفحات التالية.

## من الأخطاء فيما يسمونه الإعجاز العددي: إقحام حساب الجُمَّل في القرآن الكريم:

من أوضح الأمثلة على الأخطاء فيما يسمونه الإعجاز العددي استدلال بعضهم بحساب الجُمَّل على الإعجاز العددي في القرآن الكريم. فما هو حساب الجُمَّل؟ حساب الجُمَّل طريقة لتسجيل الأرقام والتواريخ باستخدام الحروف الأبجدية، إذ يعطى كل حرف رقماً معيناً يدل عليه. ومن تشكيلة هذه الحروف ومجموعها يصلون إلى ما تعنيه من تاريخ مقصود، فمثلاً بدلاً من كتابة التاريخ يكتبون كلمات لو أبدلنا كل حرف بقيمته وجدنا ذلك التاريخ. وبالعكس كانوا يستخدمون الأرقام للوصول إلى النصوص.

وهو حساب استخدم في بلاد الهند قديماً، وعند اليهود؛ فالأبجدية العبرية تتطابق مع الأبجدية العربية حتى حرف التاء (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت) أي تتكون من ٢٢ حرفاً وتزيد العربية: (ثخذ، ضطغ).

**طريقة الحساب:** تقوم هذه الطريقة على إعطاء كل حرفٍ من حروف الهجاء قيمة عددية ثابتة ولا تتغير، فالحروف الرقمية تمثل كل الحروف الأبجدية (٢٨ حرفاً) وكل حرف له مدلوله الرقمي، وتبدأ برقم ١ وتنتهي عند الرقم ١٠٠٠ وهي موضوعة في الجدول التالي:

أ	1	ح	8	س	60	ت	400
ب	2	ط	9	ع	70	ث	500
ج	3	ي	10	ف	80	خ	600
د	4	ك	20	ص	90	ذ	700
هـ	5	ل	30	ق	100	ض	800
و	6	م	40	ر	200	ظ	900
ز	7	ن	50	ش	300	غ	1000

ثم بعد ذلك يلجأون إلى التركيب للتعبير عن الأعداد من ٢٠٠٠ وحتى ٩٠٠٠, ٠٠٠٠، وذلك عن طريق القاعدة المرتكزة على حرف الغين (غ) كما في الجدول التالي.

100,000	قغ	2000	بغ
200,000	رغ	3000	جغ
300,000	شغ	4000	دغ
900,000	ظغ	9000	طغ
1,000,000	غغ	10,000	يغ
		20,000	كغ

فمثلاً إذا أرادوا كتابة الرقم (١٢٤٠) كتبوا "مرغ"، لأن الميم ٤٠، والراء ٢٠٠، والغين ١٠,٠٠٠.

وقد وظّف المسلمون حساب الجُمَّل في تثبيت التاريخ، فبعد انتشار الإسلام وتوسّع رقعة الخلافة الإسلامية وقيام دولتها الكبرى دعت الحاجة إلى الحساب واستخدام الأرقام للعدّ، فاقتبس عندها المسلمون من فتوحاتهم حساب الجُمَّل. وقد استمر حساب الجُمَّل زمناً طويلاً، يستعمله العرب في علومهم، وتجارتهم، وجداولهم الفلكية، وحساب أوزانهم، وكذلك في التأريخ للمعارك، والوفيات والأبنية وغيرها.

#### حساب الجُمَّل وعبقريّة استخدامه:

يقال إنه عندما توفي السلطان الظاهر برقوق أول سلاطين المماليك البرجية، قام بعض الظرفاء بصياغة عبارة تحدد تاريخ وفاته فقال: «وفاة برقوق في المشمش»، وعندما نحسب تاريخ وفاة برقوق وهي "في المشمش" يكون الناتج:

"وفاة برقوق ٨٠١" هجرية وذلك صحيح.  
 ويقال أيضًا إن شاعرًا يسمى الدلنجاوي مات فرثاه صديق له فقال:

سَأَلْتُ الشَّعْرَ هَلْ لَكَ مِنْ صَدِيقٍ    وَقَدْ سَكَنَ الدَّلْنَجَاوِيُّ لَحْدَهُ  
 فَصَاحَ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ    وَأَصْبَحَ رَاقِدًا فِي الْقَبْرِ عِنْدَهُ  
 فَقُلْتُ لِمَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ أَقْصَرَ    لَقَدْ أَرَّخْتُ: مَاتَ الشَّعْرُ بَعْدَهُ

ويتضح لنا أن تاريخ الوفاة يكون في معرفة حساب العبارة "مَاتَ الشَّعْرُ بَعْدَهُ"،  
 فيكون الحساب:

$$(١١٢٣) = (٥ + ٤ + ٧٠ + ٢ + ٢٠٠ + ٧٠ + ٣٠٠ + ٣٠ + ١ + ٤٠٠ + ١ + ٤٠)$$

وذلك يعني أن الشاعر الدلنجاوي توفي في عام ١١٢٣ للهجرة.

### إقحام حساب الجُمَّل في القرآن الكريم:

وقد حاول بعض الباحثين إقحام حساب الجُمَّل في القرآن الكريم، وكأن الله تعالى رتب كلمات كتابه وحروفه وآياته وسوره بناءً على هذا الحساب. ويجب علينا أن ننزه كتاب الله ﷻ عن هذا العبث، فهذه الحسابات من اصطلاح البشر وتختلف من شعب لآخر.

### أهم عيوب أبحاث حساب الجُمَّل:

١ - أنه لا يوجد منهج ثابت في أي بحث حتى الآن، وهذا الأمر طبيعي لأن الباحث لو حاول اتباع منهج ثابت وعلمي في حساب الجُمَّل، فإنه لن يحصل على شيء! لأن هذا الحساب لا يقوم على شيء! وجميع النتائج التي وصل إليها الباحثون في هذا النوع من أنواع الحساب مضطربة وغير مضطردة، أي لا توجد لها قاعدة علمية ثابتة.  
 فتجد أحدهم يسوق مائة مثال ولا تكاد تجد مثالين متطابقين من حيث المنهج، فهو يجمع الحروف في المرة الأولى، وفي المثال الثاني يجمع أرقام السور، وفي المثال الثالث



يجمع أرقام الآيات مثلاً، وفي الرابع يعدّ الكلمات وفي الخامس يعدّ السور أو الآيات وفي السادس يجمع أرقام السور مع أرقام الآيات وفي السابع يحصي ترتيب الكلمات وهكذا

...

والسؤال: لماذا لا يجمع أرقام السور دائماً؟ لماذا لا يجمع أرقام الآيات دائماً؟ ولماذا لا يتبع منهجاً ثابتاً؟ إن هذا الاضطراب في المنهج وعدم الثبات هو أكبر دليل على أن هذا الحساب خاطئ، والله تعالى أعلم.

٢- هنالك خلل في هذا الحساب وهو أنه لا توجد له قاعدة للتقييم، فلماذا يأتي حرف الألف ومن ثم حرف الباء ومن ثم حرف الجيم وفق قاعدة أبجد هوز؟ يجب أن يكون لدينا إجابات منطقية، لأن الهدف من الإعجاز الرقمي هو إقناع الملحدّين بصدق القرآن، فكيف نقنعهم بشيء لا أساس له؟

٣- حساب الجُمَّل نفسه لا يقوم على أساس منطقي، فهو مجرد اصطلاح من جماعة من الناس، ولكنه اصطلاح تحكّمي محض، لا يقوم على منطق من عقل أو علم. فمن الذي رتب الحروف على هذا النحو: أ ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ؟ ولماذا لم تُرتب هكذا: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز إلخ؟ أو تترتب على أي نحو آخر؟

ومن الذي جعل للألف رقم (١) والباء رقم (٢) وهكذا آحاداً إلى حرف ط، ثم أعطى للحرف (ي) رقم (٢٠) وللحرف ك (٣٠) وهكذا الزيادة بالعشرات إلى الحرف الذي يعادل (١٠٠) وبعده تكون الزيادة بالمئات. لماذا لم تكن الزيادة آحاداً إلى آخر الحروف؟ ولماذا لم تبدأ بعشرة أو بمائة أو بألف؟ ولماذا لم تكن هكذا: ألف (١)، و ب (١٠)، وج (٢٠) وهكذا؟ ولماذا لم تكن هكذا: ١، ١٠، ١٠٠، ١٠٠٠ إلخ...؟ ولماذا ولماذا؟ كل هذا تحكم من واضعيه المصطلحين عليه. صحيح أنه لا مشاحة في الاصطلاح، ولكن هذا لا يُلزم أحداً.

## ٤- يحتجون بحديث ضعيف:

يحتج أصحاب الجُمْل بحديث ضعيف ورد عن النبي ﷺ، يقول الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للحروف المقطعة «آل»: «وَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الْمَدَدِ، وَأَنَّهُ يُسْتَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ أَوْقَاتُ الْحَوَادِثِ وَالْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، فَقَدْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، وَطَارَ فِي غَيْرِ مَطَارِهِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أَدْلٌ عَلَى بُطْلَانِ هَذَا الْمُسْلَكِ مِنَ التَّمَسُّكِ بِهِ عَلَى صِحَّتِهِ.

وَهُوَ مَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، صَاحِبُ الْمُعَازِي، حَدَّثَنِي الْكَلْبِيُّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَّابٍ، قَالَ: مَرَّ أَبُو يَاسِرٍ بْنُ أَخْطَبَ، فِي رَجَالٍ مِنْ يَهُودَ، بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَتْلُو فَاتِحَةَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿آلَ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١-٢) فَأَتَى أَخَاهُ حَيَّ بْنَ أَخْطَبَ فِي رَجَالٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: «تَعْلَمُونَ - وَاللَّهِ - لَقَدْ سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَتْلُو فِيهَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿آلَ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ»، فَقَالَ: «أَنْتَ سَمِعْتَهُ؟»، قَالَ: «نَعَمْ».

فَمَشَى حَيُّ بْنُ أَخْطَبَ فِي أَوْلِيكَ النَّفَرِ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: «يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّكَ تَتْلُو فِيهَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ: ﴿آلَ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ؟». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلَى». فَقَالُوا: «جَاءَكَ بِهَذَا جَبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟»، فَقَالَ: «نَعَمْ». قَالُوا: «لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ قَبْلَكَ أَنْبِيَاءَ مَا نَعْلَمُهُ بَيْنَ لِنَبِيِّ مِنْهُمْ مَا مُدَّةٌ مُلْكِهِ وَمَا أَجَلُ أُمَّتِهِ غَيْرُكَ».

فَقَامَ حَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: «الْأَلِفُ وَاحِدَةٌ، وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ، وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ، فَهَذِهِ إِحْدَى وَسَبْعُونَ سَنَةً، أَفَتَدْخُلُونَ فِي دِينِ نَبِيِّ، إِنَّمَا مُدَّةُ مُلْكِهِ وَأَجَلُ أُمَّتِهِ إِحْدَى وَسَبْعُونَ سَنَةً؟».

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، هَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ؟»، فَقَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: «مَا ذَلِكَ؟». قَالَ: ﴿الْمَصَّ﴾ (الأعراف: ١)، قَالَ: «هَذَا أَثْقَلُ وَأَطْوَلُ، الْأَلِفُ وَاحِدَةٌ، وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ، وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ، وَالصَّادُ سَبْعُونَ، فَهَذِهِ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ

وَمِائَةٌ سَنَةٍ. هَلْ مَعَ هَذَا يَا مُحَمَّدٌ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: «مَا ذَاكَ؟». قَالَ: «آلِ». قَالَ: «هَذَا أَثْقَلُ وَأَطْوَلُ، الْأَلِفُ وَاحِدَةٌ، وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ، وَالرَّاءُ مِائَتَانِ. فَهَذِهِ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ وَمِائَتَا سَنَةٍ. فَهَلْ مَعَ هَذَا يَا مُحَمَّدٌ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: «مَاذَا؟». قَالَ: «آلِ». قَالَ: «هَذِهِ أَثْقَلُ وَأَطْوَلُ، الْأَلِفُ وَاحِدَةٌ، وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ، وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ، وَالرَّاءُ مِائَتَانِ، فَهَذِهِ إِحْدَى وَسَبْعُونَ وَمِائَتَانِ»، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ لُبَّسَ عَلَيْنَا أَمْرُكَ يَا مُحَمَّدُ، حَتَّى مَا نَذَرِي أَقْلِيلًا أُعْطِيتَ أَمْ كَثِيرًا». ثُمَّ قَالَ: «قُومُوا عَنْهُ».

ثُمَّ قَالَ أَبُو يَاسِرٍ لِأَخِيهِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَلَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَخْبَارِ: «مَا يُدْرِيكُمْ؟ لَعَلَّهُ قَدْ جُمِعَ هَذَا لِمُحَمَّدٍ كُلُّهُ إِحْدَى وَسَبْعُونَ وَإِحْدَى وَثَلَاثُونَ وَمِائَةٌ وَإِحْدَى وَثَلَاثُونَ وَمِائَتَانِ وَإِحْدَى وَسَبْعُونَ وَمِائَتَانِ، فَذَلِكَ سَبْعُمِائَةٍ وَأَرْبَعُ سِنِينَ». فَقَالُوا: «لَقَدْ تَشَابَهَ عَلَيْنَا أَمْرُهُ»، فَبَزَعُمُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِيهِمْ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (آل عمران: ٧).

فَهَذَا <sup>(١)</sup> مَدَارُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ، وَهُوَ مِمَّنْ لَا يُحْتَجُّ بِمَا انفرد به، ثُمَّ كَانَ مُقْتَضَى هَذَا الْمُسْلَكِ إِنْ كَانَ صَحِيحًا أَنْ يُحْسَبَ مَا لِكُلِّ حَرْفٍ مِنَ الْحُرُوفِ الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَذَلِكَ يَبْلُغُ مِنْهُ جُمْلَةٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنْ حُسِبَتْ مَعَ التَّكَرُّرِ فَاتَّمَّ وَأَعْظَمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ <sup>(٢)</sup>.

### ومع ضعف الحديث يمكن أن يُطرح سؤال:

إذا كان النبي ﷺ لا يعرف مدة هذا الدين، وكثير من الناس سألوه عن يوم القيامة فنزلت عليه آيات كثيرة تؤكد أنه لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله، فكيف يوافقهم النبي ﷺ على حساباتهم أن الحروف المقطعة بحساب الجُمَّل هي مدة هذا

(١) أي هذا الحديث.

(٢) تفسير ابن كثير، (١/ ٣٨). وهذه القصة قد ضعفها أيضًا السيوطي في "الدر المشهور" (١/ ٢) والشوكاني في "فتح القدير" (١/ ٣١)، وأحمد شاكر في تحقيقه لـ "تفسير الطبري" (١/ ٢١٨).

الدين؟ المنطق يفرض في هذا الموقف أن يرد عليهم ﷺ بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْنَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

ومن غير المعقول أن النبي ﷺ يوافق اليهود على حسابهم ليوم القيامة، لأن الذي يقرأ هذا الحديث يفهم منه موافقة النبي ﷺ على أن الحروف المقطعة كأنما نزلت لتحديد يوم القيامة، وهذا ما فهمه أحد شياطين الإنس - وهو رشاد خليفة الذي ادعى النبوة - عندما أسرع في حساب الحروف المقطعة في أوائل السور وفق حساب الجمل، فكان مجموع الحروف بعد إبدال كل حرف بقيمته هو ١٧٠٩ وبما أن هذا العدد ليس من مضاعفات الرقم ١٩، أضاف واحداً ليصبح العدد ١٧١٠ وهو موعد قيام الساعة بالتاريخ الهجري، ولكنه لم يذكر لنا من أين جاء بهذا الواحد الإضافي!!؟

### نقد بعض الأمثلة:

كل باحث في هذا الحساب يسوق الكثير من الأمثلة وهو يظن أنه اكتشف معجزة من كتاب الله تعالى بناء على هذا الحساب، وينسى أن عالم الأرقام يحوي الكثير من المصادفات. ولذلك يمكن الاستشهاد ببعض الأمثلة التي يقدمها أصحاب هذا الحساب لنرى اضطراب المنهج لديهم وعدم وجود منهج ثابت في البحث. ففي إحدى المقالات، يسوق الباحث عدداً من الأمثلة، لتحلل هذه الأمثلة باختصار ونرى أنها مجرد مصادفات.

### المثال الأول:

جَمَل كلمة (أبيض) هو ٨١٣ ولو بحثنا عن السور التي وردت فيها مشتقات هذه الكلمة (ابيضت، الأبيض، تبيض...) وقمنا بجمع أرقام السور كان الناتج ٨١٣ نفس جَمَل الكلمة.

### التعليق:

لماذا جمع أرقام السور، ولم يجمع أرقام الآيات مثلاً؟ ولماذا أخذ جمل كلمة (أبيض) مع العلم أن هذه الكلمة لم ترد في القرآن بهذه الصيغة بل وردت كلمة (الأبيض)، لماذا لم تحسب جمل كلمة (الأبيض) والجواب ببساطة: لأن الباحث لو اتبع منهجاً علمياً فلن يصل إلى أي حقيقة رقمية إعجازية!

ولماذا اختار الباحث هذه الكلمة بالذات وطبق عليها قانون جمع أرقام السور؟ لماذا لم يدعم نظريته بكلمات أخرى يسير فيها على نفس المنهج؟ وهل يستمر الباحث في هذا المنهج بجمع أرقام السور أم أنه يلجأ لمنهج آخر لينضبط معه الحساب؟ لنقرأ المثال التالي.

### المثال الثاني:

جمل كلمة (الحديد) هو ٥٧ ورقم سورة الحديد هو ٥٧ في القرآن والوزن الذري للحديد هو ٥٧ تقريباً. ولو أخذنا تكرار كلمة (حديد) في القرآن وقمنا بحساب ترتيب كل كلمة في السورة وجمعنا تراتيب هذه الكلمات كان الناتج ٣٢٥٨ والجذر التربيعي لهذا العدد هو ٥٧ تقريباً.

### التعليق:

لماذا غير الباحث منهجه فلم يجمع أرقام السور كما فعل مع كلمة (أبيض)؟ لماذا اكتفى برقم سورة الحديد فقط؟ ولماذا أخذ ترتيب كلمات (الحديد) في القرآن؟ ولماذا جمع هذه التراتيب ثم أخذ الجذر التربيعي؟ لماذا لم يفعل ذلك مع بقية الأمثلة؟ ولماذا لم يطبق هذا المنهج على بقية السور أو بعضها على الأقل؟ وبما أن القرآن يحوي ١١٤ سورة فإنه من الممكن أن يحدث توافق ما بين اسم سورة مع جمل هذه السورة وهذا التوافق مصادفة! وبخاصة أننا لو طبقنا هذا القانون على بقية السور لم تنضبط! وهذا يثبت أن العملية بأكملها مصادفة لا أكثر ولا أقل.

## المثال الثالث:

رقم سورة النمل هو ٢٧ وعدد آياتها هو ٩٣، وهذه السورة تبدأ بالحرفين (طس) وقد تكرر حرف الطاء في هذه السورة ٢٧ مرة نفس رقم السورة، وتكرر حرف السين ٩٣ مرة نفس عدد الآيات، وُجِّلَ كلمة (نمل) هو ١٢٠ ومجموع عدد آيات سورة النمل مع رقم هذه السورة هو ١٢٠ وكذلك مجموع حروف (طس) في السورة هو ١٢٠ نفس جمل كلمة (نمل).

## التعليق:

لماذا قام الباحث هنا بجمع عدد الآيات مع رقم السورة بخلاف المثالين السابقين؟! ولماذا حذف التعريف من اسم السورة (النمل) فحسب جَمَلَ كلمة (نمل) من دون ال تعريف؟ ألا يدل هذا على أن الباحث يقوم بانتقاء أية أرقام تصادفه، المهم أن تتفق الأرقام مع بعضها؟

إن كلمة (نمل) لم ترد في القرآن بهذه الصيغة، بل وردت كلمة (النمل) وكلمة (نملة) أما كلمة (نمل) فلم ترد في القرآن، فلماذا أخذ جَمَلَ هذه الكلمة ولم يأخذ جَمَلَ كلمة (النمل)؟ هل يجوز له تغيير كلمات القرآن لتنضبط مع حساباته؟ هل الإعجاز أن نغيّر في كلام الله تعالى؟

## المثال الرابع:

وهنا يلجأ الباحث إلى الجمع بين الكلمات عندما لا تنضبط الكلمة بمفردها، فمجموع جمل اسم (موسى) واسم (هارون) هو ٣٧٧ ومجموع أعداد كلمات الآيات التي ورد فيها أحد هذين الاسمين في سورة القصص فقط هو ٣٧٧، ولو جمعنا أرقام السور حيث وردت كلمة (هارون) في القرآن كله وجدنا ٣٧٧ أيضًا.

ولو جمعنا أرقام الآيات التي وردت فيها كلمة (هارون) ولكن هذه المرة اخترنا السور التي تبدأ بحرف الطاء فقط، فيكون مجموع أرقام الآيات هو ٣٧٧.

## التعليق:

لماذا يجمع هنا عدد كلمات الآيات؟ ولماذا اختار الآيات الواردة في سورة القصص فقط دون سائر السور؟ مع العلم أن هذين الاسمين أي (موسى وهارون) وردا في العديد من السور؟

ثم لماذا اختار الباحث السور التي فيها اسم (هارون) وجمع أرقامها، أين السور التي ورد فيها اسم (موسى) ما دمنا نحسب جمل الكلمتين معاً؟ ببساطة الباحث وضع أمامه هذا الرقم ٣٧٧ وبدأ يبحث عن أي شيء له علاقة بهذا العدد، أين المنهج العلمي؟

ولماذا عاد الباحث من جديد فاختار السور التي تبدأ بحرف الطاء فقط دون بقية سور القرآن. ولماذا لم يجمع أرقام السور كما فعل سابقاً بل جمع أرقام الآيات هذه المرة؟؟

إنه منهج مضطرب بل شديد الاضطراب! وهكذا لا نكاد نجد مثالين متطابقين من حيث المنهج، بل تارة يجمع أعداد الكلمات ثم يجمع أرقام السور ثم يختار سورة دون سائر السور، ثم يجمع رقم السورة مع عدد الآيات وأحياناً يكتفي برقم السورة وأحياناً يكتفي بترتيب الكلمة داخل الآية، ثم يحصي الكلمة في القرآن كله، وأحياناً يحصيها في سور محددة ... وهكذا دون أن يكون هنالك أي ثبات في المنهج! وكأنهم الأول والأخير للباحث هو أن يثبت مشروعية حساب الجمل، لماذا؟ ولماذا لا يبحث عن الإعجاز في القرآن نفسه، والقرآن غزير بالعجائب والأسرار؟

هل هذا هو الإعجاز الذي تقدمه لغير المسلمين في عصر التكنولوجيا الرقمية ونفتخر به في كتابنا؟ هل نقدم القرآن للغرب في مثل هذه الحسابات المضحكة؟ أين الإعجاز في ذلك؟ وإذا كانت هذه النتائج لم تقنع المسلمين فكيف نقنع بها غير المسلمين؟

إن القرآن يحوي أكثر من سبعين ألف كلمة، فهل تأتي بكلمة مثل كلمة (أبيض) وهي أصلاً لم ترد في القرآن بهذه الصيغة، ونحسب جملها ثم نجمع أرقام السور التي وردت فيها مشتقات هذه الكلمة ونقول إن هذا هو الإعجاز العددي؟

ثم تأتي بسورة النمل فنحذف منها التعريف ونجعلها (نمل) وهذه الكلمة لم ترد في القرآن بهذه الصيغة ونقول إن جمل هذه الكلمة أي (نمل) يساوي مجموع عدد آيات السورة ورقمها؟

أما آن لهؤلاء الباحثين في حساب الجُمَّل أن يبعدوا هذه السخافات عن كتاب الله تعالى؟ أما آن لهم أن يدركوا أن هذا الحساب لا أساس له من العلم أو المنطق؟



مُقارنة السحر بالفتنة في الأعداد، حيث قال أحدهم إن كلمة (الفتنة) ذُكرت في القرآن الكريم ٦٠ مرة، وكلمة (السحر) ذُكرت في القرآن الكريم ٦٠ مرة.

هكذا زعموا الوصول إلى هذه النتيجة، ولكن بالبحث عن كلمة (السحر) ومشتقاتها في القرآن الكريم باستخدام برنامج "المكتبة الشاملة" وجدت أنها تكررت ٤٠ مرة وليس ٦٠ كما زعموا. وبالبحث عن كلمة (فتنة) ومشتقاتها في القرآن الكريم باستخدام برنامج "المكتبة الشاملة" وجدت أنها تكررت ٥٧ مرة وليس ٦٠ كما زعموا. أضف إلى ذلك أن الفتنة في القرآن ليست مقصورة على السحر، بل تُطلق على الكفر وعلى الفتن الصغار والكبار، فمن إطلاق الفتنة على الكفر قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَآخِرُ جُودِهِمْ مَنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة: ١٩١). وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة: ٢١٧).

ومن إطلاق الفتنة في القرآن على الفتن الصغار قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال: ٢٨)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (التغابن: ١٥). وقد تطلق الفتنة على ما يتعلق بالعذاب الأخروي، كقوله تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّاقُومِ ۚ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (الصافات: ٦٢ - ٦٣). والفتنة أُطلقت على السحر في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (البقرة: ١٠٢).

### المثال الثالث:

قالوا إن كلمة (اليوم) ذُكرت في القرآن ٣٦٥ مرة. وبالبحث عن كلمة (يوم) ومشتقاتها في القرآن الكريم باستخدام برنامج "المكتبة الشاملة" وجدت أن كلمة (يوم) قد تكررت ٢١١ مرة، و(اليوم) ٧٣ مرة، و(يوماً) ١٦ مرة، و(يومين) ٣ مرات، و(الأيام) ٣ مرات، فالمجموع: ٣٠٦ وليس ٣٦٥.

كما أنهم قد يعتبرون اللفظ أحيانا دون ما يُقابله من معنى، فإنه قد يعتبرون اليوم الآخر في حساب الأيام، وقد يعتبرون الأيام بمثابة كلمة يوم، ثم هذا الناتج المتوصل إليه أي إعجاز فيه؟! فالعدد (٣٦٥) ماذا يُمثل؟!

إن السّنة المعتمدة عند المسلمين هي السنة الهجرية، وهي أقل من ذلك!

#### المثال الرابع:

الاستدلال بسورة الإسراء على أن زوال إسرائيل سنة ٢٠٢٢ ، بطريقة هي أقرب إلى التّكهنّات منها إلى طريقة القرآن وحقائقه. وتم فيها إقحام الرقم (١٩) في أكثر من موضع بتكلف شديد! حتى أنه إذا لم ينفع الرقم (١٩) قُسم إلى قسمين، وهو قولهم (١٩) عبارة عن (٩ + ١٠)! ويُخشى أن يكون إقحام هذا الرقم أن يكون من خرافات وتكهنّات البهائية - وهي ديانة وثنية - تُقدّس الرقم (١٩)!!

#### المثال الخامس:

الادعاء بأن هناك توافقاً عددياً عجيباً بين رقم سورة الحديد، وهو سبعة وخمسون (٥٧) في القرآن الكريم، والوزن الذري لمعدن الحديد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: ٢٥).

#### المثال السادس:

الاستدلال على إخبار القرآن بما وقع لأبراج أمريكا في ٢٠٠١/٩/١١ بقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٠). وبأن سورة التوبة رقم تسعة في ترتيب المصحف، والسورة في الجزء الحادي عشر ١١. ورقم (١١٠) يجمع الحادي عشر بحذف الصفر، وعدد أدوار البناءتين.

وهذا بلا شك تكلفٌ مذموم وصرفٌ لألفاظ القرآن عن مدلولها الحقيقي، ولو سلطنا هذا المسلك لأنصرفنا أكثر آيات القرآن عن مدلولها إلى معانٍ باطلة وخلت من مضامينها الشرعية.

إن في هذا صرفاً للفظ عن مدلوله والمراد به، وهو مسجد الضرار الذي نزلت الآيات فيه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُيُوتُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيُوتُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٧ - ١١٠).

إن الآيات المذكورة ضمن آيات تتحدث عن واقعة عين، عن مسجد الضرار الذي بناه المنافقون في المدينة، وأرقام الآيات لا علاقة لها بالإعجاز القرآني هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه لا علاقة للدين الإسلامي بالتاريخ الميلادي فكيف يُستدل على شيء بالقرآن بشيء لا علاقة له به؟

### المثال السابع:

الزعم بأن القرآن يحوي "شفرة رقمية" تحميه من التحريف؟! تركزت في رقم ١٩ من خلال قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (المدر: ٣٠). وأن الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدُوَّهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْثَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ (المدر: ١٣) (المدر: ٣١)، مجموع حروفها «٥٧» وأنها تقبل القسمة على «١٩».

وأن ترتيب نزول سورة «المدر» الرابع، ثم السورة التالية «الفاتحة»، التي وجهنا المولى ﷺ لأن نجعلها فهرس القرآن لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧). فبجمع حروف القرآن والآيات الشفع والوتر، يظهر

لنا أرقام تقبل القسمة على ١٩، وإذا أضفنا لها مجموع حروف «بسم الله الرحمن الرحيم» (٣ + ٤ + ٦ + ٦)، نجدها تقبل القسمة أيضاً على ١٩.

هذا يُزعم أنه إثباتٌ حِفْظٌ للقرآن، ومآله تحريفُ القرآن. وهذه طريقة البهائية، وهي فرقة مارقة تنتسب إلى الإسلام زورا وبُتانا، وتُقَدِّس الرقم (١٩)! وكان أحد أدعيائها، وهو رشاد خليفة - قال بهذا القول، ثم آل به الأمر إلى أمرين:

الأول: ادّعاء النبوة!

الثاني: ادّعاء أن القرآن فيه زيادة؛ لأن عدد آيات سورة التوبة لم يقبل القسمة على (١٩)!

إن هناك تخبُّطٌ كبير في هذا الزعم بأن القرآن يحوي "شفرة رقمية" تحميه من التحريف، فعلى سبيل المثال: ما قيل في عدد أحرف البسملة، وأنها (١٩) وليس الأمر كذلك. ففي القول أعلاه (مجموع حروف «بسم الله الرحمن الرحيم» (٣ + ٤ + ٦ + ٦) وليس الأمر كذلك، فإن الحرف المشدد عبارة عن حرفين، فَحَرَفَ "الراء" في (الرحمن) وفي (الرحيم) عبارة عن حرفين، وكذلك حرف المدّ في (الرحمن) لم يتم احتسابه في العدّ. فلو كتبنا البسملة من أجل العدّ لكانت (بسم الله الرحمن الرحيم). فيكون مجموع حروف البسملة (٣ + ٤ + ٨ + ٧). فسقط بذلك ما بنوا عليه من وهم!

كما أن تلك الدراسة المزعومة لا تَمُتُّ لِطريقة القرآن بِصِلَة؛ لِمَا فيها من التكلّف، فإن العدد (١٩) لا يقبل القسمة إلاّ بعد تكلّف بالغ! وقد تكفّل الله بحفظ كتابه على مدى أكثر من ألف وأربعمائة عام من غير حاجة إلى هذه الطريقة المبتدعة المتكلّفة!

### المثال الثامن:

التكلّف والتعسّف في الوصول بعد عمليات حسابية إلى الزعم بأن القرآن يحدد عمر النبي ﷺ، وها هنا قول أحد الباحثين باختصار مع التعليق عليه في الهامش:

«سوف نكتشف معجزة رائعة تتجلى في كتاب الله تعالى. فنحن نعلم أن نبينا ﷺ عاش ٦٣ سنة، وعندما نجد حروفاً محددة في القرآن تتكرر بحيث تشكل

أعدادًا من مضاعفات العدد ٦٣ فهذا يعني أن الذي رتب حروف القرآن هو الله وليس محمدًا، لأنه لا يمكن لإنسان أن يعرف كم سيعيش!!

فالنبي ﷺ لا يعلم أنه سيعيش ٦٣ سنة، وبالتالي فإن وجود مضاعفات لهذا العدد في حروف وكلمات القرآن يعني أن الله تعالى قد رتب حروف القرآن، بحيث يأتي العصر الذي نعيشه اليوم ويكثر الإلحاد والتشكيك، وتتجلى هذه المعجزة لتكون دليلًا لكل مشكك أن هذا القرآن هو كلام الله، وأن الإسلام هو رسالة الله للبشر جميعًا.

إن السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تحمل اسم النبي الكريم هي سورة "محمد" ﷺ. ترتيب هذه السورة في القرآن هو ٤٧ وعدد حروفها كما رسمت في القرآن (الرسم العثماني) ٢٣٦٠ حرفًا.

ولكن هناك حروف محددة تكررت بطريقة عجيبة، وهي حروف اسم السورة أي حروف اسم (محمد)! فلو بحثنا في هذه السورة عن حرف الميم نجده قد تكرر في هذه السورة ٢٢٣ مرة، أما حرف الحاء فقد تكرر ٢٣ مرة، وحرف الدال تكرر ٣٥ مرة. الآن دعونا نكتب اسم (محمد) وتحت كل حرف مقدار تكراره في سورة محمد:

م	ح	م	د <sup>(١)</sup>
٢٢٣	٢٣	٢٢٣	٣٥

وهنا دعونا نقوم بعملية جمع هذه الحروف، أي نقوم بجمع تكرار حروف اسم (محمد) في سورة (محمد) لنجد ما يلي:  $٢٢٣ + ٢٣ + ٢٢٣ + ٣٥ = ٥٠٤$  حروف.

العجيب أن هذا العدد من مضاعفات عمر النبي ﷺ أي من مضاعفات العدد ٦٣ كما يلي:  $٨ \times ٦٣ = ٥٠٤$

(١) يهدم كل تلك الإحصائيات أن الحرف المشدد عبارة عن حرفين، فَحَرَفُ " الميم " في (محمد) عبارة عن حرفين، وكذلك باقي الحروف المشددة من هذه الكلمة في السورة كلها.

وهذا يعني أن السورة الوحيدة التي سماها الله تعالى باسم نبيه الكريم (محمد) وضع فيها عدداً محدداً لحروف الميم والحاء والdal وهي حروف اسم (محمد) بحيث أننا عندما نقوم بجمعها تعطينا عدداً من مضاعفات العمر الذي عاشه النبي محمد ﷺ أي من مضاعفات العدد ٦٣، والناتج هو العدد ٨ وهذا له سر سنكتشفه بعد قليل.

والآن قد يقول قائل إن هذه مصادفة. ولذلك دعونا ننتقل إلى سورة أخرى وهي السورة التي نزلت في أوائل الدعوة إلى الله تعالى وهي سورة المدثر، التي خاطب الله بها حبيبه محمداً: ﴿تَبٰرَكَ الَّذِيْ اَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ فِيْ سُوْرَةِ الْمُدَّثِّرِ﴾ (المدثر: ١).

الغريب أن كلمة (المدثر) تشير إلى النبي ﷺ، ولو قمنا بنفس الأمر السابق وبحسنا عن حروف كلمة (المدثر) سوف نجد أن حروف هذه الكلمة تكررت في سورة المدثر بطريقة عجيبة.

لنكتب حروف هذه الكلمة وتحت كل حرف مقدار تكراره في سورة المدثر:

ا	ل	م	د	ث	ر <sup>(١)</sup>
١٦٢	١٠٤	٧١	٢٦	١٠	٦٨

إن مجموع هذه الأرقام هو:

$$١٦٢ + ١٠٤ + ٧١ + ٢٦ + ١٠ + ٦٨ = ٤٤١ \text{ حرفاً.}$$

أي أن عدد حروف كلمة (المدثر) وهو النبي الكريم، يساوي ٤٤١ وهذا العدد من مضاعفات عمر النبي أي ٦٣ كما يلي:  $٦٣ \times ٧ = ٤٤١$

(١) يهدم كل تلك الإحصائيات أن الحرف المشدد عبارة عن حرفين، فَحَرَفُ " الدال " في (الْمُدَّثِّرِ) عبارة عن حرفين وكذلك حَرَفُ الثاء وباقي الحروف المشددة من هذه الكلمة في السورة كلها.

ونقول سبحان الله! كيف يمكن أن تأتي حروف محددة في سور محددة لتشكيل أعداداً من مضاعفات عمر النبي الكريم؟ والنتائج هنا هو الرقم ٧ وهذا له مدلول، بعكس النتائج السابق في سورة محمد وهو الرقم ٨ فلماذا؟

عندما نتأمل سورة محمد نجد فيها حديثاً مطولاً عن مواصفات الجنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد: ١٥).

ونحن نعلم بأن عدد أبواب الجنة ثمانية، وبالتالي فإن حروف اسم محمد في سورة محمد هو ٥٠٤ ويساوي ٦٣ × ٨ أي عمر النبي الكريم × عدد أبواب الجنة<sup>(١)</sup>.

ولكن ماذا عن سورة المدثر؟ إذا تأملنا سورة المدثر نجد فيها تفصيلاً عن نار جهنم ذات السبعة أبواب: قَالَ تَعَالَى: ﴿سَاصُّلِيهِ سَقَرَ﴾ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ﴿المدثر: ٢٦ - ٣٠﴾.

وبالتالي فإن حروف كلمة المدثر تكررت في سورة المدثر ٤٤١ مرة أي ٦٣ × ٧ أي عمر النبي الكريم × عدد أبواب النار<sup>(٢)</sup>.

فمن أطاق هذا النبي دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار!

(١) الملاحظ أن السورة تكلمت أيضاً عن عذاب أهل النار، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد: ١٥). وقال تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: ١٢).

(٢) الملاحظ أن السورة تكلمت أيضاً عن نعيم أهل الجنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (المدثر: ٣٨ - ٤١).



هذا ليس كل شيء، فلو قمنا بعدّ الحروف من أول القرآن الكريم وحتى نهاية سورة محمد سوف نجد أن عدد حروف اسم محمد في هذه السور (الـ ٤٧) يبلغ كما يلي:

م	ح	م	د <sup>(١)</sup>
٢٢٨٢٣	٣٤٩٦	٢٢٨٢٣	٥٠٣٨

ومجموع هذه الحروف  $٢٢٨٢٣ + ٣٤٩٦ + ٢٢٨٢٣ + ٥٠٣٨ = ٥٤١٨٠$

والعجيب أن هذا العدد ٥٤١٨٠ هو من مضاعفات عمر النبي ٦٣ كما يلي:

$$٨٦٠ \times ٦٣ = ٥٤١٨٠$$

أي أن حروف اسم محمد تكررت من أول القرآن ولنهاية سورة محمد بحيث تشكل عددًا من مضاعفات عمر النبي محمد ﷺ، إنها أعداد يعجز البشر عن الإتيان بمثلها.

أحيانًا يأتي العدد ٦٣ وهو عمر النبي الكريم بصورة غير مباشرة عبر الحروف المقطعة. ففي سورة عظيمة هي سورة الروم التي بشر الله فيها المؤمنين بالنصر القريب، نجد هذه السورة تبدأ بقوله تعالى: ﴿الْمَ ١ غُلِبَتِ الرُّومُ ٢﴾ فِي آذَى الْأَرْضِ (الروم: ١-٢). ولوقمنا بعدّ حروف الألف واللام والميم<sup>(٢)</sup> في سورة الروم سوف نجد:

ا	ل	م
٤٩٣	٣٩٠	٣١٤

إن مجموع هذه الحروف المقطعة هو  $٤٩٣ + ٣٩٠ + ٣١٤ = ١١٩٧$  حرفًا

وهذا العدد من مضاعفات العدد ٦٣ عمر النبي الكريم كما يلي:

(١) يهدم كل تلك الإحصائيات - إن كانت صحيحة - أن الحرف المشدد عبارة عن حرفين، فَحَرَف "الـ" عبارة عن حرفين، وكذلك باقي الحروف المشددة من هذه الكلمة في السور كلها.  
(٢) هذه المرة (الم) وليس حروف كلمة محمد (الميم والحاء والميم والـ"ال")!!!.

$$19 \times 63 = 1197$$

ولا يخفى على أحد أن الناتج ١٩ هو عدد حروف البسملة <sup>(١)</sup>. أي أن عدد حروف (الم) في سورة الروم التي تبدأ بهذه الحروف هو عدد من مضاعفات عمر النبي الكريم والناتج هو ١٩ عدد حروف (بسم الله الرحمن الرحيم).

وهنا من جديد نتساءل: كيف تأتي هذه الأعداد دائماً من مضاعفات عمر النبي الكريم ﷺ، هل هي المصادفة، أم تقدير العزيز العليم؟ إن كل من يدعي أن هذه الأعداد قد جاءت بالمصادفة فعليه أن يأتي بكتاب غير القرآن تتحقق فيه مثل هذه المعجزات العددية <sup>(٢)</sup>. وبالطبع لن يأتي لأن الله ﷻ قال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور: ٣٤)، ولن يستطيع أحد أن يأتي بمثل بلاغة القرآن أو مثل أعداد القرآن أو مثل علوم القرآن.

### المثال التاسع:

الزعم أن في قوله تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف: ٢٥) إعجاز علمي حيث إن عدد (٣٠٠) هو للحساب الشمسي، وإن عدد (٣٠٩) هو للحساب القمري!

فقالوا: «إِنَّ السَّنَةَ الشَّمْسِيَّةَ هِيَ مَدَّةُ تَنْقِصِي بَيْنَ مُرُورَيْنِ مُتَتَالِيَيْنِ لِلشَّمْسِ فِي نَقْطَةِ اعْتِدَالٍ وَاحِدٍ، وَمَقْدَارُ هَذِهِ السَّنَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةٌ وَسِتُونَ يَوْمًا، وَأَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَاثْنَانِ وَعِشْرُونَ بَعْدَ الْفَاصِلَةِ، هَذِهِ السَّنَةُ الشَّمْسِيَّةُ بِالذِّقَّةِ، وَبِمُرُورِهَا يَحْدُثُ الصَّيْفُ، وَالْخَرِيفُ، وَالشِّتَاءُ، وَالرَّبِيعُ.

(١) يقولون إن مجموع حروف «بسم الله الرحمن الرحيم» (٣ + ٤ + ٦ + ٦) وليس الأمر كذلك، فإن الحرف المشدد عبارة عن حرفين، فَحَرَفُ " الرَاء " في (الرحمن) وفي (الرحيم) عبارة عن حرفين، وكذلك حرف المدّ في (الرحمن) لم يتم احتسابه في العدّ. فيكون مجموع حروف البسملة (٣ + ٤ + ٨ + ٧) = ٢٢.

(٢) كيف تكون معجزات وهي مبنية على أخطاء في العدّ.

أما السنة القمرية فتتكوّن من ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً، وبعد الفاصلة ستة وثلاثون ألفاً وسبعمائة وثمانون، وهي المدة بين كُسُوفَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ مقسومةً على عددِ الحركاتِ القمريةِ الدائريةِ، والفرقُ بين السنةِ الشمسيةِ والقمريةِ عشرةُ أيامٍ، وبعدَ الفاصلةِ ثمانمائة وخمسة وسبعون ألفاً، ومئة وسبعة وثلاثون، وبذلك يقعُ في كلِّ ثلاثِ وثلاثين سنةً فرقٌ قدره ثلاثمائة وثمانية وخمسون يوماً، أو نحو سنة تقريباً، وعلى ذلك فإنَّ كلَّ مائة سنة تزيدُ ثلاثَ سنواتٍ، وتكون الثلاثمائة سنةِ الشمسيةِ يقابلها ثلاثمائة وتسع سنواتٍ قمرية، هذا حسابُ الفلكيّين الدقيق، ستة أرقام بعدَ الفاصلة.

وهذه الحقيقة الكونية ثابتة، والتي اطمأنَّ إليها العلم الحديث، واستقرَّ عليها، وقد سبق إليها القرآن في سرِّه لقصة أصحابِ الكهفِ في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾، هذه سنواتٌ شمسية، ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾، هذه سنواتٌ قمرية، إنه شيءٌ دقيقٌ جداً، وبحساباتٍ دقيقةٍ في مراصدٍ عملاقةٍ، بحساباتٍ فلكيةٍ بالغةِ الدقةِ بستةِ أرقامٍ بعدَ الفاصلة، وبعدَ الحسابِ الدقيقِ فإنَّ ثلاثمائة سنةِ شمسيةٍ تساوي ثلاثمائة وتسع سنواتٍ قمرية.

وقد ردَّ على هذا القول الشيخ محمد بن صالح العثيمين فقال:

«﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ ازدادوا على الثلاث مائة وتسع سنين، فكان مكثهم ثلاث مائة وتسع سنين، قد يقول قائل: "لماذا لم يقل ثلاث مائة وتسع سنين؟" فالجواب: هذا بمعنى هذا، لكن القرآن العظيم أبلغ كتاب، فمن أجل تناسب رؤوس الآيات قال: ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾، وليس كما قال بعضهم بأن السنين الثلاثمائة بالشمسية، وازدادوا تسعاً بالقمرية؛ فإنه لا يمكن أن نشهد على الله بأنه أراد هذا، من الذي يشهد على الله أنه أراد هذا المعنى؟ حتى لو وافق أن ثلاثمائة سنين شمسية هي ثلاث مائة وتسع سنين بالقمرية فلا يمكن أن نشهد على الله بهذا؛ لأن الحساب عند الله تعالى واحد.

وما هي العلامات التي يكون بها الحساب عند الله؟ الجواب: هي الأهلّة، ولهذا نقول: إن القول بأن "ثلاث مائة سنين" شمسية، (وازدادوا تسعاً) قمرية قول ضعيف:

أولاً: لأنه لا يمكن أن نشهد على الله أنه أراد هذا.

ثانياً: أن عدة الشهور والسنوات عند الله بالأهلة، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (يونس: ٥)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩). انتهى<sup>(١)</sup>.

إن الحساب بالقمر والأهلة هو المعروف عند الأنبياء وأقوامهم، ولم يُعرف الحساب بالشمس إلا عند جهلة أتباع الديانات، وللأسف وافقهم كثير من المسلمين اليوم. فالحساب الشمسي حساب متوارث عن أمم وثنية، ولم يكن معتبراً لدى الأنبياء ﷺ، وإنما الحساب المعتبر في الشرع هو الحساب بالقمر والأهلة، وهو الأدق والأضبط، ومما يدل على أن المعروف في شرائع الأنبياء هو الحساب بالقمر والأهلة حديث واثلة بن الأسقع رحمته الله عن النبي ﷺ قال: «أُنزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتِ التَّوْرَةُ لَيْسَتْ مَضِينٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ» (رواه الإمام أحمد في المسند، وذكره الألباني في "الصحيحة" (١٥٧٥)).

وهذا لا يُعرف إلا إذا كان الحساب بالقمر والأهلة، ويدل عليه أيضاً حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، قَالُوا: «هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى» (رواه البخاري ومسلم).

وقد صرَّح الحافظ رحمته الله أنهم كانوا لا يعتبرون الحساب بالشمس<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير سورة الكهف.

(٢) انظر: "فتح الباري" (٤ / ٢٩١)، وانظر (٧ / ٣٢٣).

وقال ابن القيم رحمه الله تعليقاً على قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (يونس: ٥)، وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس: ٣٨ - ٣٩):

«ولذلك كان الحساب القمري أشهر وأعرف عند الأمم وأبعد من الغلط، وأصح للضبط من الحساب الشمسي، ويشارك فيه الناس دون الحساب، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ولم يقل ذلك في الشمس، ولهذا كانت أشهر الحج والصوم والأعياد ومواسم الإسلام إنما هي على حساب القمر وسيره حكمة من الله ورحمة وحفظاً لدينه لاشتراك الناس في هذا الحساب، وتعذر الغلط والخطأ فيه، فلا يدخل في الدين من الاختلاف والتخليط ما دخل في دين أهل الكتاب»<sup>(١)</sup>.

وربما يفهم من العبارة الأخيرة لابن القيم رحمه الله أن أهل الكتاب كانوا يعتمدون الحساب بالشمس، وهذا قد صرح الحافظ ابن حجر رحمه الله برده بعد أن نسب لابن القيم<sup>(٢)</sup>، والواقع أنه لم يكن معتبراً في شرعهم وإنما وقع لهم بعد ذلك لدى جهلتهم انتهى.

وفي فوائد قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩)، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ومنها: أن ميقات الأمم كلها الميقات الذي وضعه الله لهم - وهو الأهلة - فهو الميقات العالمي؛ لقوله تعالى: ﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾؛ وأما ما حدث أخيراً من التوقيت بالأشهر الإفرنجية: فلا أصل له من

(١) مفتاح دار السعادة، (ص ٥٣٨ - ٥٣٩).

(٢) انظر: "فتح الباري" (٧ / ٣٢٣).

محسوس، ولا معقول، ولا مشروع؛ ولهذا تجد بعض الشهور ثمانية وعشرين يومًا، وبعضها ثلاثين يومًا، وبعضها واحدًا وثلاثين يومًا، من غير أن يكون سبب معلوم أوجب هذا الفرق؛ ثم إنه ليس لهذه الأشهر علامة حسيّة يرجع الناس إليها في تحديد أوقاتهم، بخلاف الأشهر الهلاليّة فإن لها علامة حسيّة يعرفها كل أحد<sup>(١)</sup>.

### التاريخ الهجري رمزٌ لهويّة أمتنا الإسلامية:

التاريخ الهجري ليس مجرد طريقة لحساب الزمن، بل هو رمزٌ لهويّة أمتنا الإسلاميّة؛ فتاريخنا مرتبطٌ بأحداثٍ عظيمة، مرتبطة بالشُّهور الهجريّة؛ مثل: شهر رمضان المبارك، الذي صار رمزًا للانتصارات والفتوحات الخالدة في بدرٍ وفتح مَكّة وحطّين وعين جالوت، والقارئ الملاحظ لِسِيرِ الأُمَم، يرى أنّ التاريخ من أهمِّ ما تحرص عليه؛ لذلك يقوم علماء الدِّين في مختلف المِلَل والنَّحَل على التقويم والعناية به من حيث الحساب والمواقيت، والأعياد والمناسبات، وبداية كلّ شهرٍ ونهايته، وأحوال السنين، والبَسْط والكَبْس، كما حصل من رُهبان الرُّومان، وسدنة المَجوس، وحاخامات اليهود، وباباوات النّصارى، وكما فعل أيضًا الخليفة الرّاشد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الذي أقرَّ تاريخًا جديدًا للأُمّة الإسلاميّة، ينطلق من بداية الهجرة النبويّة الشريفة من مَكّة إلى المدينة.

التقويم هو نظامٌ عدّ زمني لحساب التواريخ للأَيّام، يتمُّ فيه حسابُ التواريخ بناءً على معاييرٍ مختلفةٍ في التقاويم المتنوّعة؛ فهناك تقويمٌ يعتمد على الشَّمس، وموقع الأرض (التقويم الميلادي)، ومنها ما يعتمد على ميلاد ونهاية القمر (التقويم الهجري)، كما أنّ هناك تقويمًا يعتمد على القمر والشمس معًا، وهناك تقاويمٌ تعتمد على كواكب معيَّنة، وغيرها ما لا يعتمد على أيّ عامل واضح.

(١) تفسير سورة البقرة (٢ / ٣٧١).

### التقويم الميلادي:

ترجع نشأة التقويم الميلاديّ إلى الرُّومان الذين كانوا يعتمدون على التقويم القمريّ حتّى سنة ٤٥ ق. م، وكان شهر مارس بداية السّنة، وكانت السنة ٣٥٤ يومًا، وحتّى تتّفق السّنة مع الفصول الأربعة؛ كان الرُّومان يُضيفون شهرًا كلّ سنتين، لكن هذا النّظام أدّى إلى حدوث اضطرابات ومنازعات سياسيّة.

وفي سنة ٤٦ ق. م اعتمد "يوليوس قيصر" على نصيحة الفلكيّ المصريّ "سوسيجينس" الذي اقترح أن يكون طول السّنة ٣٦٥ يومًا لمدة ثلاث سنوات «التقويم اليولياني»، تليها سنة رابعة يكون طولها ٣٦٦ يومًا، وتُعرف باسم "سنة كبيسة"؛ أي: السّنة التي تقبل القسمة على أربعة بدون باق، وبذلك يصير طول السنة في المتوسط ٣٦٥ وربع يوم، وهذا يعني أنّ السنة اليوليانيّة تزيد عن السنة الحقيقية بمقدار ٠,٠٠٧٨ يومًا، و١١ دقيقة، و١٤ ثانية؛ أي يوم كامل كل ١٢٨ سنة، وهذا يعني أيضًا أنّ التاريخ طبقًا للتقويم اليولياني سيكون متأخرًا قليلًا عن التاريخ الحقيقيّ.

إلاّ أن عملية تراكم الخطأ مع مرور السّنوات كانت واضحة، ولا يمكن أن تتماشى مع الواقع، وبالفعل ففي ١٠/٥/١٥٨٢ م؛ أي: بعد مرور حوالي ١٦ قرنًا من بدء التاريخ اليولياني، لوحظ أنّه تأخّر عن التاريخ الحقيقيّ بمقدار ١٠ أيام، الأمر الذي أدّى إلى لزوم ضبطه؛ حيث أُضيف هذا الفرق ليُصبح التاريخ الجديد ١٥/١٠/١٥٨٢ م، وهو التاريخ المفترض أن يكون، وتمّت هذه الإضافة بأمر من البابا "جريجوري الثالث عشر"، وكان هذا بداية تعديل التقويم اليوليانيّ إلى التقويم الجريجوري، حيث جُعِلَت السنة ٣٦٥ يومًا لثلاث سنوات متتالية "سنة بسيطة"؛ بحيث تجمع الكُسور في السنة الرّابعة لتصبح ٣٦٦ يومًا "سنة كبيسة".

ولكي لا نرجع إلى نفس مشكلة التأخّر عن التاريخ الحقيقيّ، فقد اشترط للقرون "السنوات المئتين" في هذا التقويم أن تقبل القسمة على ٤٠٠ بدلًا من ٤؛ لتُصبح سنة كبيسة، بهذه الطريقة أصبحت السنة في التقويم الجريجوري ٢٤٢٥، ٣٦٥ يوم،

مقابل ٢٤٢٢, ٣٦٥ يوم في السنة الحقيقية؛ أي: بفرق قدره ٠, ٠٠٠٣ يوم، أو يوم واحد كل ٣٣٣٣ سنة.

وبناءً على هذا التعديل؛ فإنَّ السنوات المئويَّة؛ مثل ١٤٠٠، ١٥٠٠، ١٦٠٠... لا تُعدُّ سنواتٍ كبيسةٍ إلَّا إذا قِيلَت القسمة على (400) بدون باقي، بينما السنوات العادية تقسم على (4) فقط؛ لكي تُعرَف أنَّها كبيسة، وعلى هذا الأساس كانت سنوات ١٧٠٠ م، ١٨٠٠ م، ١٩٠٠ م سنواتٍ عادية، أمَّا سنة ٢٠٠٠ م، فهي سنة كبيسة، ويكون شهر فبراير فيها ٢٩ يومًا.

وجديرٌ بالذكر أنَّ "التعديل الجريجوري" لا يعدُّ آخرَ تعديلٍ بل يتوقَّع الفلكيُّون ضرورةَ تعديل التقويم الميلاديَّ كلَّ أربعة آلاف سنة؛ بسبب الاختلافات الطَّيفيَّة في مُدَّة دورة الأرض حول نفسها وحول الشمس، هذا فضلاً عن أنَّ الخطأ الحسابيَّ في النِّظام الشمسي يحتاج إلى متخصصين للكشف عنه، كما يحتاج المتخصصون إلى قرونٍ لكي تبدو لهم تلك الأخطاء المتراكمة.

### من أخطاء التقويم الميلادي:

من الخطأ الكبير في التقويم الميلاديَّ زَعَمُ أصحابه أنَّ ميلاد المسيح عليه السلام كان في فصل الشتاء، وموسم الثلوج والأمطار، والبرْد والرَّعد، ولكنه كان في حقيقة الأمر في أوج فصل الصيف الحارِّ، وهو موسم نزوج البلح؛ حيث أوحى الله تعالى لمريم أن تهزَّ النخلة فيتساقط عليها البلح النَّاضج، قال تعالى: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِمِجْذِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ (مريم: ٢٥)، ومعلوم أنَّ الرُّطْب ينضج في موسم الصيف، مع شدَّة الحرارة، وبالرجوع إلى هذه القصَّة في موضعها من الأناجيل؛ نجد أنَّ الرُّعاة كانوا في البرية يراعون الغنم؛ "حيث العشب الأخضر، والسماء الصافية في المساء، والنُّجوم تتلألأ"، وكلُّ ذلك لا يكون في الشتاء، والفرق بين التوقيتين حوالي خمسة أشهر.

أيضاً؛ فإنَّ طول السَّنة الشمسيَّة منذ أن خلق الله الأرض والشمس والقمر، وإلى أن تقوم الساعة هو (364) يومًا، و٢٣ ساعة، و٥٥ دقيقة، و١٢ ثانية، وليس كما زعم الفلكيُّون قديماً وحديثاً، حين جعلوها من مرحلةٍ لمرحلة، من ٢٥، ٣٦٤ يوم، ثم



٢٥، ٣٦٥ يومًا في نظام الإصلاح اليولياني، ثم ٢٤٢٥، ٣٦٥ يومًا في نظام الإصلاح الجريجوري، وكل ذلك أخطاء بشرية فلكية متوالية في تحديد طول السنة الشمسية، كان لها أثرها السلبي على تحديد مكان الشمس في أفلاكها، وبروجها ومن ثم على تحديد ميقات بداية الفصول الأربعة، واختلاف الطقس والمناخ بين النظرية والتطبيق؛ حيث بلغ الفرق والخطأ منذ عهد "يوليوس قيصر" عام ٤٥ ق.م حتى عام ٢٠٠٤م حوالي 520 يومًا.

ومن أمثلة العبث التاريخي في التقويم الميلادي: ما فعله "يوليوس قيصر"، عندما نقل بداية السنة من شهر مارس إلى شهر يناير في سنة ٤٥ ق.م، وقرّر أن يكون عدد أيام الأشهر الفردية ٣١ يومًا، والزوجية ٣٠ يومًا، عدا شهر فبراير ٢٩ يومًا، وإن كانت السنة كبيسة يُصبح ثلاثين يومًا، وتكريرًا ليولوس قيصر سُمي شهر "كونتيلس" الشهر السابع، باسم "يوليو"، وكان ذلك في سنة ٤٤ ق.م، وفي سنة ٨ ق.م غير شهر "سكستيلس" باسم "أغسطس"؛ تمجيدًا "لأغسطس قيصر"، القيصر الذي انتصر على أنطونيو في موقعة أكتيوم سنة ٣١ ق.م، ومن أجل مزيد من التكريم؛ فقد زادوا يومًا في شهر أغسطس؛ ليُصبح ٣١ يومًا بأخذ يوم من أيام فبراير، وترتب على هذا التغيير توالي ثلاثة أشهر بطول ٣١ يومًا 7، 8، 9 نتيجة لذلك؛ أخذ اليوم الحادي والثلاثين من كل من شهرَي سبتمبر ونوفمبر، وأضيفا إلى شهرَي أكتوبر وديسمبر.

### التقويم الهجري:

التقويم القمري تقويم ربّاني سماوي كوني توقيفي، قديم قدم البشرية، ليس من ابتداع أحد الفلكيين، وليس للفلكيين سلطان على أسماء الشهور العربية القمرية، ولا على عددها أو تسلسلها أو أطوالها، وإنما يتم كل ذلك في حركة كونية ربّانية، وتمّ تحديد عدد الشهور السنوية في كتاب الله القويم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (التوبة: ٣٦)، وفي الوقت الذي عبثت أصابع الفلكيين بتقويم الأمم الأخرى في كل جزئية من جزئياتها، وأسماء شهورها، وأطوالها وهيئاتها وتسلسلها، فإنه لا سلطة

للفلكيين، أو غيرهم على التقويم القمري؛ بحيث لا يستطيع أحد استبدال اسم شهرٍ بشهر، أو موقع شهرٍ بشهر، أو زيادة يوم فيه، أو نقص يوم منه؛ فهو تقويمٌ كامل، لا يحتاج إلى تعديلٍ أو تصحيح، وهو ربّاني من تقدير العزيز العليم.

ومن مميزات التقويم الهجري أن تاريخنا الإسلامي الحافل، وأمورنا الدينية كلّها ترتبط بالشهور القمرية، فالحج والصيام والزكاة، وعدّة الطلاق كلّها ترتبط بالشهور القمرية، وعلى سبيل المثال - وليس الحصر - فإنّ الزكاة تُدفع إذا بلغ المال نصابها، وحال الحول؛ أي: العام الهجري، ولو اعتمدنا على السنة الميلادية، فمعنى ذلك أننا ننقص من حقوق مستحقّي الزكاة؛ لأنّ كل ٣٢ سنة ميلادية تعادل ٣٣ سنة هجرية، فإذا كان لدينا زكاة تعتمد على السنة الميلادية التي تزيد ١١ يوماً على السنة الهجرية، فإننا نضيع زكاة سنة هجرية كلّ ٣٢ سنة ميلادية!

### بين الرؤية والحساب:

يُعيّب أنصار "الحساب" على "الرؤية" أن لها سلباتٍ كثيرة، منها: الخطأ البشري الذي قد يقع فيه الشهود، والوهم الذي قد يعترهم، أو الكذب الذي قد يتعمّده بعضهم، أو الهوى الذي قد يُسيطر على قلوبهم، فيدفعهم لاجتناب الصدق والصواب.

وكُلُّ ذلك واردٌ، وأكثر منه، ولكن الحساب أيضًا لا يخلو من تلك السلبات والمخاوف والمحاذير، وربّما كانت أخطاء الفلكيين على مدار السنين الخالية أكثر من أخطاء شهود العيان، وأبلغ في إبعاد المسلمين عن الحق والصواب، وما زالت بياناتهم الفلكية شاهدة على أخطائهم، بل وما زالت برامج حساباتهم المعدة لتغذية الكمبيوتر، والكتب المحمّلة بالجدول الرقمية الزمنية تشهد عليهم بارتكاب الأخطاء المُرّكة.

هذا فضلاً عن أن نظام الحساب القمريّ أيسر للبشر، وأسهل من النظام الشمسي، ولذلك جعله الله تعالى أساساً لحساب الزمن، ومعرفة أوائل الشهور، وإحصاء عدد السنين، وتقدير الأيام من دون الشمس؛ لحكمة ربّانية بالغة، أو أكثر من

حكمة؛ فمَظاهر التغيُّر في القمر واضحةٌ، وكلُّ إنسانٍ يُمكنه ملاحظَتُها، بخلاف التغيُّرات التي تطرأ على الشمس، ولا يُدرِكها سوى المتخصِّصين.

### المؤامرة:

لا يخفى على أهل العلم دَوْرُ أعداء الإسلام في تحجيم التقويم الإسلامي، ومُحاولات طمسه وإخراجه من الساحة، وزعزعة ثقة المسلمين به؛ لاستبدال غيره به؛ لأغراضٍ لا تخفى على مُنصف، يُغذِّيها الحقدُ الأعمى، والعداء المستمرُّ ضدَّ كلِّ ما يُمُتُّ إلى الحضارة الإسلامية بصلَّة، ولقد استمرَّت المؤامرة لِطمس التاريخ الهجري وإزالتِه، وتجهيل الشعوب الإسلامية به قرونًا متوالية؛ ففي القرن الثامن عشر الميلاديَّ عندما أرادت الدولة العثمانيَّة تحديثَ جيشها وسلاحها، طلبتْ مساعدةَ الدُّول الأوربيَّة العظمى؛ (فرنسا، وألمانيا، وإنكلترا ... إلخ)، فوافقوا على مُساعدتها بشروطٍ؛ منها: إلغاء التقويم الهجريِّ في الدَّولة العثمانيَّة، فرضخت لضغوطهم، وفي القرن التاسع عشر عندما أراد خديوي مصر أن يستقرض مبلغًا من الذهب من إنكلترا وفرنسا؛ لِتغطية مصاريف فتح قناة السويس، اشترطتا عليه ستَّة شروطٍ؛ منها: إلغاء التقويم الهجريِّ في مصر؛ فتمَّ إلغاؤه سنة ١٨٧٥م، وأثناء فترة وقوع أغلب الدُّول الإسلاميَّة في براثن الاستعمار الغربي، حرص الأخيرُ على التعتيم على كلِّ ما هو إسلاميٌّ، واستمرَّ الحال كما هو عليه في أغلب هذه الدُّول؛ بتأثير مناهج التربية الغربيَّة الاستعماريَّة.